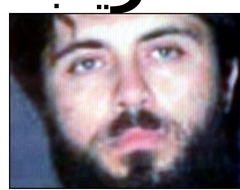
من خفايا التاريخ

مُسْتَقاة من تجربة الشيخ الأمير "أبي مصعب الزَّرْقاوي"

دم الشهيد نور لمن بعده
و نار أعداء الله

بقلم: الشيخ العالم المجاهد الإعلامي المحنك[1]

الشهيد : ميسرة الغريب



عضو اللجنة الشرعية بتنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين -سابقاً-
وَ
مؤلف موسوعة أبي زبيدة الأمنية

جمع وترتيب وتنسيق

سهيل اليماني

-شبكة الفلوجة الإسلامية-

[1] - هكذا وصفه أمير المؤمنين أبو عمر البغدادي عندما نعاه في شريطه " أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين".

بسم الله الرحمن الرحيم

الحلْقة الأولى

قصص وعِبَر ... أقوال وأفعال ... أفكار وتحليلات

ومَن وَعَى التاريخَ في صدره * أضافَ أعماراً إلى عُمْره

الحمدُ لله الذي أعلى لواء الجهاد في أرض العراق، الحمدُ لله الذي مدَّ للعز فيها الرُّواق، والصلاة والسلام على عَلَم الهُدى الذي صاغ بحكمته في عاصمة دولته بين أهل الشقاق أسْمى وِفاق، فكانوا لبعضهم نِعْمَ الرفاق، وعلى آله وصحبه الذين قطعوا بسيف جهادهم رأسَ الردة والزندقة والنفاق، وكانوا إلى جنة ربهم في تنافسٍ وسباق، اللهم فَمَكِّنّا من الكفار الذين ضَيَّقوا على عبادك الخِناق، وألْحِقْنا بالسابقين الأولينَ شهداءَ قبل أن يُكتَب لنا من هذه الدنيا الفِراق، وكلَّ مَن أمَّنَ على هذا الدعاء مِن قلبٍ حِرَاق خَفّاق ...أما بعد:

لا يَخفى على المجاهدين والمطَّلعين أن فريضةَ العصرِ "الجهاد بالمعنى القتالي" قد غابت اليوم عن ذهن كثيرٍ من العلماء فضلاً عن العوام، لكنَّ صوتاً عُلْوِيّ النداء أطلّ عليَّ فأرغمني -إن أردتُ الإنصاف- أنْ أقف هُنَيْهَةً عن رَكْب سائرِ البحوث العلمية والدعوية لأتَلَمَّس الصواب في حكم الجهاد اليوم، فحططتُ رحلي -بعد تنقيبٍ وتنبيشٍ- على كتاب "قالوا فقل... عن الجهاد" من بين كثيرٍ من الكتب، فرأيتُ فيه شبهاتِ المرجفين قد كُشِفَتْ، وأضاليلَ المُخَذِّلين قد خُنِقتْ، وما تَرَك كاتبُه عذراً لمعتذر -نحسبه والله حسيبه-.

فبدا الحكمُ لي جلياً لا شائبةَ فيه..."فرض عين"، من نصوص الوَحْيين وكلام أهل العلم السالِفين بلا خلافٍ بينهم، أضِفْ إلى هذا الإغراءاتِ العجيبةَ التي تَحُفُّ المجاهدين من الأجر الأخروي فضلاً عن الدنيوي كالراحة من الهم والغم الذي يُشْقي كثيرين هذه الأيام.

لكن الجهاد ليس كلماتٍ تُسَطَّر، ولا صُحفاً تُسَوَّد، ولا خُطباً تُنَمَّق...إن الجهاد فِعالٌ قبل أن يكون أقوالاً تُرْصَف أو عباراتٍ تُصَفّ، إن الجهاد الحقَّ للعالِمِ الحقِّ -وطلبة العلم- يمكن أن يُخْتَصَر اليوم في عبارة: "إن كنتَ إِمامي فكن أمامي".

فكان من لازم معرفة حكم الله في القتال اليوم أن أبحث عن خيطٍ يوصلني إلى مكانٍ أؤدي فيه فريضة الله تحت رايةٍ جَلِيَّة لا عِمِّيَّة، وإلا فما معنى أن أعرف أن صلاة الجمعة فرضُ عين ثم لا أبحثَ عن جامع أؤدي فيه فرضيَ العيني؟

وما معنى أن يُصليَ أحدنا الجمعةَ في مسجد ضِرار، والإمامُ إمامُ شقاق ونفاق، ومساجدُ المؤمنين كثيرة؟

ثم إن النفس نفسٌ واحدة، أفليس حرياً أن يَتَبَصَّر المُتَّزِن في مكان وكيفية الإزهاق؟

دعِ المِدادَ وسَطِّر بالدم القاني * وأَسْكِتِ الفَمَ واخْطُب بالفم الثاني

فَمِ المدافع في صدر العُداة له * من الفَصاحة ما يُزْري بـ"سَحْبان"

فهَيهات أن يَسموَ القلم الراعفُ في أيامنا حتى يُسْقى من دم حامله، وحينَها يَصير شقيقَ السيف وحبيبَ الرشاش؛ لأنه غدا قلماً مجاهداً، وإلا فما أكثرَ الأقلام الكاتبة والمنبطحة!

دمي لك الحبر فاكتب أيها القلم * حتى يُسافرَ من شريانيَ الألم

حتى يُغَرِّد عصفور القصيدة في * دَوْح الوفاء وحتى يُوْرِقَ النَّغَم
حتى تقولَ ليَ الأشواق هاأنذا * ويَستعيدَ بقايا صَحْوِه الحُلُم
دمي لك الحبرُ فاشربْ منه يا قلمي * إنّ الدمَ الحُرّ كالأمواج يَلتطمُ

أما أن يَجْلس قلمُ عالمٍ أو كاتبٍ من بَعيـدٍ يَنْظُر ويُنَظِّر، ويُخَطِّئ ويُصَـوِّب، ويُكْرِم ويُهين، ويَذمّ ويَمْدح دون أن يَعرف حقـائق الأمـور من أرض الواقع فهذا تَجَنّى على مهمته، وخـانَ أولَ ما خـان أمانـةَ القلم الـتي أوْلاها الله له.

فكيف إذا بـدل الأحكـام وحـرَّف؟ إنه عنـدها يَسْـقط من سِـجِلِّ العلمـاء ومُنَـزَّهي الكُتّـاب لِيَـدْخل في كُتب الضـعفاء والمـتروكين، فتَبّـاً لمن جعل الدين بـاب رزق ومفتـاح مناصـب، ولن تـزول قـدما عبد حـتى يُسـأل عن اتهاماته الباطلة لـرافعي كلمة الله -إلا أن يشـاء الله- لأن (من قـال في مؤمن ما ليس فيه أسكَنَه الله رَدْغَة الخَبال حتى يخرج مما قال) .

إنَّ الفقيهَ إذا غَوَى وأطاعـه * قومٌ غَوَوْا معه فضاع وضَيَّعا
مثلُ السفينة إنْ هَوَتْ في لُجَّةٍ * تَغْرَقْ ويَغْرَقْ كلُّ ما فيها معا

فرأَيْتُني -بعد معرفة الحكم الشرعي والبحث عن خيط- قد سـاقَتْني ريـاح الأقـدار لأتَرَبَّع في أحضـان "أرض الرافـدين" أرض الخلفـاء العباسـيين، وشوكةِ الشَّجى اليوم في حُلوق المنحرفين والكفار والمرتدين.

فعسـاها أن تكـون بِشـارةَ خـيرٍ لي من بـاب الحـديث الصـحيح في "سـنن النسائي": (إنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْك).

وَصَـلْتُ وإذ بي أتَفَيَّأ ظلال إخْـوة حملـوا أرواحهم على راحـاتِهم، فبـاعوا لله، والله اشـترى.... وَفَـدوا من كل فجٍّ عميق تلبيـةً لنـداء ربهم (انْفِـرُوا خِفَافـاً وَثِقَـالاً)، فـتركوا آبـاءهم وأولادهم وأزواجهم وخِلانَهم -مع حبهم لهم- ووَقَفوا بالمِرْصاد أمام كـلاب الكفار... الأمريكان؛ ذباً عن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

سـبحان الله! يصـنع الحب في الله عجَبـاً عجيبـاً في تحريك الهمم، وربط القلوب بهـذا الربـاط الفريد... ابتسـامة عذبة... إشـراقة سـاحرة ... روح مرحة...يد حانية على بعضهم... وكأن ألفـاظ قلـوبهم تعـانقت مع معـاني أرواحهم، لتقول بلسان واحد:

تالله ما الدعوات تُهْـزم بالأذى * أبـداً وفي التاريخ بَـرٌّ يميني
ضعْ في يديّ القيد ألهب أضلعي * بالسوط ضع عنقي على السكين
لن تستطيع حصار فكريَ ساعة * أو نزع إيماني ونور يقينـي
فالنور في قلبي، وقلبي في يَدَيْ * ربي، وربيْ ناصري ومعيني
سأظلُّ معتصماً بحبل عقيدتـي * وأموتُ مبتسماً لِيَحْيى دينـي

وصلتُ ....إلا أن حُكْمَ الله منذ الأزل (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَـدٍ)، فقُـدِّر عليَّ -والحمد له على كل حال- ظرفٌ عَصيبٌ خـرجْتُ به من مكـاني حـتى كِدْتُ أُخْـرَج به من أرض العـراق ونفسي تتلهف على البقـاء، فعشت /28/ ساعة على أعصابي، أتَنَهَّد تَنَهُّد المَلْهوف، وأزْفُر زَفَرات المَصْـدور...أدعو الله باسمه الأعظم أن يختـار لي الخـير، وأردد كلمـات "يـونس" في بطن الحـــوت، وأُكْـــثر من الاســـتغفار، وما عهـــدنا أن يُخَيَّب من لَجَأ إلى ركن شديد.... إلى الله!

وإذ بالأمل ينبعث من مقـبرة اليـأس، ويُطِـلُّ الفـرج من خاصـرة الحَـرَج، فتُلغى الإجراءات قبل /10/ دقائق من موعد قطار السفر.

وخلال /24/ـ ساعة يتراءى أمامي قولهم: "رب ضارة نافعة"، بل قوله تعالى: (فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً) فأجِدُ نفسي -في منطقةٍ لا أعرف ما اسمها- بين يدي أمير "جماعة التوحيد والجهاد": "أبي مصعب الزرقاوي"، ألتقط أنفاسي بعد اختناق محتوم.

وكنتُ أتيتُ العراقَ راجياً أن يُكْرِمني الله بأشياءَ تنفع المسلمين وأكْسِب من ورائها أجراً إلا أن أمنيتي لم تَرْقَ إلى هذا المرتقى، خاصة وأني أعلم وضعَ "الشيخ" الحساس وأن أناساً قلائلَ هم الذين كانوا يلتقون به، لقد انقلبَتْ النِّقمةُ في ساعاتٍ معدوداتٍ إلى نعمة، وكيف يَغْلب عُسْر يُسْرَين، أسأل الله حسن الختام.

فإنّ المر حين يَسُرُّ حُلْوٌ * وإنّ الحلو حين يَضر مُرّ
فخذ مراً تصادف منه نفعاً * ولا تَعجل إلى حُلو يَضرّ

وفي إحدى لحظات اللقاء ما استطاع بصري إلا أن يسارقني ليرجم الشك باليقين: أَحَقّاً هذا الرجُل مقطوعُ الرِّجْل كما أكّد الإعلام الأعرج؟! لقد كنتُ أعلم من قبلُ يقيناً أنه سليم الرجلين من مصادرَ موثوقة -ثم اطمأن قلبي الآن- إلا أنني رغم جزمي هذا خامَرَتْني شائبةٌ من شكٍ لكثرة نعق غربان الإعلام....فسبحان الله كم للإعلام من أثر، فأين أنتم يا شباب الإعلام ...من بني الإسلام؟

إعلام هذا العصر شر ظاهر * فعلى يديه تُزَوَّر الأخبارُ
وعلى يديه تُباح كل رذيلة * وعلى يَدَيه تُشَوَّهُ الأفكارُ
وبه تُشَبُّ النارُ يُوْقَدُ جَمْرها * وبه يُثارُ من الشكوكِ غُبارُ

ومن أَجْلِ إعلام الغرب الزَّنيم اضْطُرَّ الشيخُ أن يُظْهِرَ بعض انتصاراته وبعض كذبهم، فقد تناهى إلى سمعي قبل أن ألتقيَ بالشيخ أنه آثر الكمون أول الأمر بعيداً عن صَخَبِ البهارج والفخفخة من إعلانات وأفلام ونحوها؛ لئلا يكون:

كمثل الطبل يُسمَع من بعيد و باطنه من الخيرات خال

ويبدو أن الشيخ -حفظه الله- لا يحب أن يكون "كُنْتِيّاً" ، حتى أنه تعمَّد أن لا يُصوِّر شيئاً من العمليات ضد الأمريكان لتبقى سراً بين العبد وربه، إلا أن إعلام الكفر السافر أبى عليه إلا أن يُخْرِج شيئاً من الحقائق، فساقته الأحداثُ اليوم إلى الظهور في العراق رغم نفوره من الظهور، ولسانُ حاله: "مُكْرَهٌ أخاك لا بَطَل".

ولعل الله شاءَ بحكمته أنْ كلما أخفى المجاهدون عن اليسرى ما فعلت يُمناهم أبت يسراهم إلا كشفاً.

حتى أنني سألتُه في أول لقاء جَمَعَنا: "لو استقبلتَ من أمركَ ما استدبرتَ ماذا كنتَ تتمنى؟" فقال: وددتُ لو أنني قُتلت في "خوست" في أفغانستان سنة /1410هـ- 1990م/... فاسْتَفْسَرْتُه عن السبب، وقد تَمَلَّكَني العَجَب...؟!

لماذا يود أن يُقتَل آنذاك وقد يَسَّر الله على يديه اليومَ ما لم ييسره على يد أحدٍ من ملايين المسلمين الخانعين...!

وإذ به كان يرى نفسه آنذاك أرقَّ قلباً وأصفى روحاً من الآن، فقلت في نفسي: لا تثريبَ عليك فقد كان نبينا عليه الصلاة والسلام -وهو نبي- يُغان على قلبه فيَلْجأ إلى الاستغفار في اليوم مئةَ مرة، وبما أن حالة النبي القلبية ليست واحدة فإني لأتوقع أنه كان أرق قلباً يوم كان يَتَحَنَّث

في غار حِراءً لوحده قبل أن يختلط بالناس، ولكنَّ الحكم الشرعي والأجر الأخروي في مثل حالنا واضح؛ فــ (المؤمن الذي يُخالط الناس ويَصبر على أذاهم أعظمُ أجراً من المؤمن الذي لا يُخالط الناس ولا يَصبر على أذاهم) .

فعسى الله أن يكون بكرمه اختار الشيخ ليكون من أهل:

ما كان قولُك ألفاظاً ترددها * جوفاءً لكنه بالفعل مقرون

- وما هو إلا يوم أو يومان حتى بدأتَ خفايا الأحداث من حياة الشيخ، أو أفكاره، أو تحليلاته، أو أسبابِ عددٍ من تصرفاته...بدأت تتبدى لي من مرافقتي له، وتتكشَّف من حديثه معي، فرأيتُ من حق الحقيقة عليَّ أن أُخْرِج للدنيا شيئاً منها من رحم المجهول، لتعرف أمتنا كم ظُلم أشخاص بسبب الإعلام، وكم سُحق أشخاص بسبب الافتراء، والمسلمون في سباتهم يمشون مع الناعقين الغربيين وصَداهم من الشرقيين...يصفقون ويسرحون ويمرحون.

لقد شعرتُ أنني الآن أمام محيط هدار، تحيط به علامات الاستفهام، وتَحُفُّه علامات التعجب، عالمٌ غصَّ بخفايا التاريخ، فوجدتني مشدوداً أن أضرب خاصرة قلمي ليشد السير ولكن على متن هذا المحيط، فـ:

يا راكباً متن المحيط مسافراً * ما بين حلكة ليله ونهاره
هلا سألتَ البحر عما جَنَّه * في جوفه وحواه من أسراره
يا زرقةَ الأمواج بُوْحي بالذي * همست به الأنسام في أسحاره
اقرأ وراء سطوره يا قارئاً * فيحار لبك في دجى أفكاره

- حقاً! إن من توفيق الله للعبد أن يلهمه استثمار الفرص التي لا تُعَوَّض لتعود نفعاً على قومه:

إذا هَبَّتْ رياحُك فاغتنمها * فإنّ لكلِّ خافقة سكون
ولا تَغْفُل عن الإحسان فيها * فما تدري السكون متى يكون؟
وإنْ درَّت نِياقك فاحْتَلِبْها * فما تدري الفَصيل لمن يكون؟

والحكيم مَن استفاد من تجربة غيره، صغيراً كان أو كبيراً، إذ لا يخلو امرؤ من حكمة، وقد يوجد في الأنهار ما لا يوجد في البحار.

إلا أن ما يُغْري حقاً أن تَرْتَشف من خبرةِ من أفنى عمره في أرض الجهاد...خبرةِ رجلٍ حَنَّكَتْه الأيام وخَمَّرَتْه التجارب بعد أن حمل عصا التسيار في أرض الله محارباً للطواغيت بقلبه وقالَبه...إنه لمُغْرٍ حقاً أن ترتشف منه رحيقاً سلسبيليَّ المَذاقِ حتى يَغْدوَ من نَحْلة صغيرةٍ شهْداً مصفًى على خد الزمان يتذوقه من شاء من أبناء أمتنا الإسلامية... ولولا الرحيقُ ما كان العسل.

وإني لأحمد الله الآن أنْ لم أكن ككثيرٍ من مغتالي الضمائر ممن لم يُطَبِّقوا أخصَّ خصيصة في نقد الرجالَ عند علمائنا السالفين...أعني عدالة الرواة في السند، فإذا كان الإسناد من الدين، فإن عمودَ صحته عدالة الراوي، فكيف يثق كاتبونا بصحف الغرب الكافرة التي طلقت العدالة -التي عَرَّفَها علماء الحديث- تطليقاً ثلاثاً منفصلات!؟

وكيف يظنون أن أعداء الله يمكن أن يقولوا الحقيقة بنفسٍ سَمْحة، وروح طليقة؟

ما عهدنا أن نرى في الليل شمسا * أو نرى في وهْج القيظ هلالا
ما عهدنا أن نرى في الشرق غربا * أو نرى في راحة اليمنى الشمالا

آهِ منـا لم نَـزل نُلِبِـس زيـداً * ثوبَ عَمْرٍو ونرى القِرْد غزالا

فالحمد لله أنني ها هنا أرى بـأم عيـني، وأسجِّل بحُـرِّ قلمي، وما بقي إلا أن يتقي الكاتب الله فيما يَكتب، وأن يلهمه الله السداد، ويُخرج على يديه -بفضله- الإنصاف الذي طالما ظل مدفوناً في سراديب الإجحاف.

فيا من تريدون الإنصاف تعالَوا كما جـاء غـيركم ثم احكمـوا، وإلا فـاقنعوا من المعمعة بالصمت، و:

أقلــوا عليهـمْ لا -أباً لأبيـكمو- * من اللوم أو سُدُّوا المكان الذي سدوا

- وقد يظن ناس أنْ لا فائدةَ من سرد التاريخ الفـائت أو حـتى الحاضر إلا تزجيـةُ الـوقت وملءُ الفـراغ، وسـها هـؤلاء عن فوائـدَ عظيمـةٍ من سـرد ودراسة التـاريخ، ويمكن إيجازها بـــ: تحصـيل عـبرة أو اكتسـاب خـبرة أو إصـدار فتـوى، وسأفصـلها في الحلقة القادمة إن شـاء اللـه، ثم أليست أحداث اليوم تاريخ الغد؟

أتانا أن "سهلاً" ذم - جهلاً- علوماً ليس يَدْريهن "سهل"
علوماً لو دَراها ما قَلاها ولكنّ الرِّضا بالجهل سهل

• ولعل متسائلاً يتساءل: لماذا لم يَضُع الشيخ هذه الحلقات بنفسه؟

لهذا أسباب عديدة أقتصر على أهمها وأظْهَرها:

1- أراد الشـيخ أن يفسح المجـال لغـيره من أبنـاء الأمة الإسـلامية وهـذا يذكرني في موضوعنا بالإمام الشافعي القائل: [وددتُ أنّ النـاس تَعَلّمـوا هذا العلم على أن لا يُنْسَـب إليّ منه شـيء]، فهَمُّه -رحمه الله- أن يُنْشَـر الخير ولا يَضيره على يد من انتشر.

2- أن أعباء القيادة في مثل الظروف المريـرة والعقبـات الكـأداء تشـغل ذهن كبـار الخـبراء، ومثل هـذه الصـياغة والتنسـيق تحتـاج ذهنـاً أبعد عن صخب المشاكل وضوضاء المشاغل، فكان ما كان.

3- كثـيراً ما يكـون الرجـلُ صـاحبُ التجربة قد امتلأ خـبرة حـتى مُشـاش عظمه لكنه ينظر إلى تجربته أمـام تجربة العظـام من السـابقين فيراها صـغيرةً لا يَليق أن تُـذْكر بجـوارهم كما قـال أحد التـابعين: [ما نحن فيمن مضى إلا كبقــلٍ في أصــول نخل طِــوال]؛ لــذا يزهد بتجربته فلا يَنْشَــط لكتابتها، لكن هذه الخبرة لمن هو دونه سناً وخبرة أو للأجيـال القادمة قد تكون بمنزلة الكبريت الأحمر أو الإكسير الأصفر لمشابهة واقعه بـواقعهم مثلاً....فيشاء الله أن يلقي مثلي دلوه في هذا الإخاذ الكبير عسـاه يُخْـرِج لجيلنا عِبَراً تكـون أقـربَ ما تكـون إلى حـديث نبينا العظيم عند حديثه عن الأنبياء وعن نفسه عليهم الصلاة والسلام (مَثَلي ومثـلُ الأنبيـاء من قبلي كمثل رجل ابتــنى بيوتــاً فأحْسَــنَها وأجْمَلها وأكْمَلها إلا موضــعَ لَبِنَــةٍ من زاويةٍ من زواياها، فجعل الناس يَطوفـون ويُعْجِبهم البنيـانُ، فيقولـونَ ألا وضـعت ههنا لَبِنَة فيَتِمَّ بنيانـك، ... فكنتُ أنا اللَبِنة) ، ولم يقل: "فكنت أنا البيت"، مع أنه نبي عظيم أتى بالدين الخاتم، فـأحرى بأمثـالي أن يكونـوا ذرة من لبنته عليه الصلاة والسلام.

* فما هو منهجي هنا في هذا الكتاب، الذي سـيتم إخراجه -إن شـاء الله- على حلقات؟

طلبتُ من الشـيخ حفظه الله أن نبـدأ من هـذه اللحظة بتسـجيل الأحـداث الجديدة أولاً فأولاً حـتى لا تفوتنـا، ثم كلما تيسر وقتٌ عند الشـيخ نجلس سوية لنتجاذب أطراف الحديث من بدايات التزامه بخط الجهاد، وآثـرتُ أن

يحدثني بادئ ذي بـدء عن بـدايات وصـوله إلى العـراق بعد سـقوط إمـارة طالبان وكيف كانت أولُ شَـرارة في ذهنه تجـاه أرض الرافـدين، ثم نعـودُ إلى بداياته الأولى في "الأردن".

ولن يكون تركيزي في هذه الأحداث على مجرد الحَـدَث بقَـدْرِ ما سـأحاول التركـــيزَ على الحَــدَث ذي العِبَر إذ ما يهمنا العـــبرة والاتعــاظ واقتنـــاص الفوائد، فالقلوب تصـدأ فتحتـاج إلى صـقل، والمـؤمن يَغْفُل فيحتـاج إلى تذكير، فإن لم نكسِـب من حلقاتنا إلا هـذا فحسـبنا، بَيْد أني لن أَضِـنَّ -إن شاء الله- بذكر الأحداث الرئيسـة، ومعـاذَ اللـهِ أن أَدَّعيَ أنَّ كل ما سـأكتبه سيكون رائق المبنى بديع المعنى، ولكن إذا قصَّر الكبـار من أربـاب القلم بالواجب عليهم كان حقـاً على من دونهم أن يَحملـوا الرايـة، وخشـيةً من مخالب المنايا، ومن باب "خير البِرِّ عاجله" رأيتُ أن أسرعَ بإخراجها مع أن الرَّوِيَّة أفضـلُ، فمبـدئي هنا: "ما لا يُـدْرَك كلُّه لا يُتْـرَك جُلُّه"، لكنَّ الكتابة ليست تمـراً أنت آكلـه، ومَن صـنَّف فقد اسـتهدف -كما قيل- أسـألُ الله التيسير.

***تنبيهات قبل البدء في صلب الحلقات:**

1) الأحداث المذكورة تَوَخَّيْتُ فيها الدقة النقلية ما استطعتُ إلا أن كتابة التاريخ لا تخلو من نُقُولٍ بالمعنى فأسأل الله السداد والإنصاف.

2) ما أكتبه وإن تَوَشَّـــحَ باسم الشـــيخ "الزرقـــاوي" إلا أنه يمثل منهجـــاً لجماعة مستمرة وقد شاء الله أن يكون اليـومَ هو أميرَهـا، والشيخُ نفسه لا يرضى أن يكون أمر الجماعة مرتبَطـاً بشخصـه، وعلى كل أخ مسـلم أو أخت مسلمة يغارون على دينهم أن ينشـروا هـذه الحقـائق على الملأ في المنتـديات الإلكترونية والمكتبـات وما يتيسر من وسـائل نشر حـتى يعلم الناس الخفايا، إحياءً للحق الموءود.

3) لن أتقيد بطـــولٍ معين للحلْقة وإنما بقَــدْر كفايـــةِ توضـــيح الفكـــرة واقتباس العبرة وضمن حدود المقبول إن شاء الله.

4) سـأذكر في الحلقـات أحـاديث ومواعظ وأشـعاراً وتـراجمَ وما تيسـر، ولايخفى ما لها من فوائد خاصة مع ربطها بالأحــــــــداث، وسأوضح درجة صحة الأحاديث المذكورة، وأما ما لم أذكر درجته فيحتاج نظراً في سنده.

5) ضــبطي للكلمة بضــبطٍ ما لا يعـني أن غـيره غـير صـحيح، فقد يَصِـحُّ ضبطان لغة فأختار أحدهما فحسب.

6) النقـــاط المتتالية هكـــذا (...) للدلالة على كلام محـــذوف في النص المنقول.

7) إن وجد إثناءٌ على شخص في هذه الحلَقات فلا يعني إقـراره على كل ما عنـده أو على منهجـه، ولكن المقـام في عجالـةِ هـذه الحلقـات ربما لا يحتمل التفصيل، فقد نمدح الزمخشــري مثلاً من حيث براعتُه في العربية مع تبرئنا من عقيدته الاعتزالية، فلا يعني مدحي لعربيته أنـني أقـره على كل ما عنده.

8) قد يتأخر نشر الحلْقة عن موعدٍ انتهـائي منها قليلاً؛ فمعلـومٌ أنه ليس من الحكمة الأمنية أن يَتِمَّ نشر الحلْقة من مكـان وجـود الشـيخ؛ لـذا فـإن بُعْدَ مكان النشر عن مكان كتابتي قد يكون له دورٌ في التـأخير، وإن تنقل الشيخ من مكان إلى آخر دون ثبات يسهل الأمر.

9) من الحلَقــات ما يصــلح -لطوله وأهميته- أن يكــون كتابــاً مســتقلاً كالحــديث عن الشــيعة الــروافض اليــوم وســبب مقاتلة جماعة التوحيد والجهاد لهم أو عن الإخـوان المسـلمين ومنهجهم؛ لـذا آثـرت أن أَفْصِـلها لتكـون مثل هـذه المواضـيع حلَقـاتٍ لوحـدها متسلسـلةً مسـتقلةً؛ كفـرعٍ طويلٍ ومتميزٍ للأصل الذي عنونته بـ:

"من خفايا التاريخ"

اللهم فسددني، واهـدني لأقـرب ما اختلفـوا فيه من الحق بإذنـك، واكتب لي القبول في الدارين، [فإنْ يكُ صـواباً فَمِنَ اللـه، وإن يكن خطـأً فمِنِّي ومن الشيطان، واللهُ ورسوله بريئان] .

سبحان ربك رب العـزة عما يَصِـفون، وسـلام على المرسـلين، والحمد لله رب العالمين

إليكـم يـا بني قومي كتابـاً * حَوى تاريخَ أحداثٍ عِظـام
وروحي في مُحَيَّاه تَجَـلَّـت * وذا رَسْمي إذا غابت عظامي

-انتهت الحلقة الأولى-

الحلْقة الثانية

قصص وعِبَر * أقوال وأفعال * أفكار وتحليلات

ومَن وَعَى التاريخَ في صدره * أضافَ أعمـاراً إلى عُمْـره

الحمد لله ثم الحمد لله على تيسيره....

نتابع في الحلْقة الثانية من سلسلة خفايا التاريخ، وكنتُ وعدتُ أن أَتَحَدَّثَ بنُبْذَة عن أهمية دراسة التاريخ وفوائِده للمسـلمين، وذكـرتُ هنـاك فوائـدَ أساسيةً لهذه الدراسة، وهي: تحصـيلُ عـبرة أو اكتسـابُ خـبرة أو إصـدارُ فتوى.

1- الفائدة الأولى: تحصيلُ العِبَر وتثبيت القلوب:

إن الاعتبار بما حَلَّ بالكافرين والعصاة، وسردُ قصصِ أهـلِ الإيمـان سـواءٌ طاعاتهم، أو أخلاقهم أو صـبرهم أو بلاؤهم وابتلاؤهم، أو جهـادهم أو أيُّ شيء من فاضِل أعمالِهم فيه تثبيتٌ وتسلية.

وصقل القلوب وتليينها، ودفع المرء ليتشبه بأهل الصـلاح والعلم والعمل مما يحتاجه المسلم الغريب اليوم.

فتشبَّهوا إن لم تكونوا مثلهم . . . إن التشبُّهَ بالكرام فلاحُ

بل ندب الله الكافرين إلى الاعتبار كما ندب إليه المؤمـنين، فقـال تعـالى مهـدداً للكـافرين: (أَوَلَمْ يَسِـيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُـرُوا كَيْـفَ كَـانَ عَاقِبَـةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِـذُنُوبِهِمْ وَمَا كَـانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ * ذَلِـكَ بِـأَنَّهُمْ كَـانَتْ تَـأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ) غافر 21 ــ 22.

وقال الله تعالى تسليةً للمؤمنين وتثبيتاً لهم: (وَكُلاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَـاءِ الرُّسُـلِ مَا نُثَبِّتُ بِـهِ فُـؤَادَكَ وَجَـاءَكَ فِي هَـذِهِ الْحَـقُّ وَمَوْعِظَـةٌ وَذِكْـرَى لِلْمُؤْمِنِينَ). [هود 120].

فعندما نسـمع مثلاً في هـذه الحلَقـات عن جبن الجنـدي الأمـريكي وهلعه وفراره وتواريه، وعن انتصارات إخواننا مع أن أسـلحتهم وعتـادهم بجـوار الأمريكـان لا شـيء، وفـوقَ هـذا لا تجـرؤ أمريكة اليـوم أن تـدخل مدينة صغيرة اسمها "الفلوجة"، هذا كله فوائده كثيرة للمسلمين لا تخفى حـتى على غير المختصين في علم النفس.

مَن لم يَعِظْهُ الدهر لم يَنْفَعْه ما * راح بـه الواعظ يوماً أو غَدا

مـن لم تُـفِدْه عِبَـراً أيامـه * كان العَمى أولى به من الهُدى

2 - الفائدة الثانية: اكتساب الخبرات

بدراسة التاريخ تُعْـرَف أسـبابُ نهـوض الأمم والـدول، وأسـبابُ سـقوطها وتخلفهـا، وبدراسة التـاريخ تُعْـرَف طبـائعُ الشـعوب والبلـدان، وبدراسة التاريخ يسـتفاد من أخطـاء من سـبقك لتتجنبها وتكمل المسـير من حيث انتهى لا من حيث بدأ.

وكل هـذا يرجع إلى حقيقـةٍ واحـدة وهي أن التـاريخ يعيد نفسـه؛ أي كلما وجد سبب معين ترتبت عليه نتيجة معينـة، وهـذا شـيء دلت عليه نصـوص الشريعة، ويثبته استقراء أحداث التـاريخ، فأحـداث التـاريخ هي سـنن الله الكونية القدرية، وهذه السنن ثابتة لا تتبدل ..قال تعالى: (سُـنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً) الفتح 23.

لذا تجد تدريس التاريخ العسكري جـزءاً أساسـياً من منـاهج التـدريس في الكليات العسكرية، حيث تتم دراسة المعارك المختلفة، ولمـاذا انتصر هـذا وهُزم ذاك؟

ولأجل هذه الفائدة كان أسـاتذة التـاريخ من المشـاركين الأساسـيين في وضع استراتيجيات الدول، وتحديد متطلبات أمنها القومي.

3 ــ الفائدة الثالثة: إصدار الفتاوى والأحكام.

معرفة الواقع واجبة خاصةً على أهل العلم المتصدرين لإفتـاء النـاس في نوازلهم ومُلماتهم. إذ الفتـوى هي معرفة الـواجب في الواقـع، فلإصـدار فتوى في حادثة معاصرة لا بد من معرفة ملابسات الحالة كما ينبغي، قال ابن القيم رحمه الله في أكـــثر من موضع من كتابه "إعلام المـــوقعين": (إن الفتــوى هي معرفة الــواجب في الواقع)، والــواجب أي ما حَكَمَتْ به الشريعة، والواقع هو الحال المسؤول عن حكم الشريعة فيه.

لذا فإنّ علماء المسلمين وطلاب العلم أحوجُ من غيرهم إلى هذه الدراسة ليتمكنـوا من القيـام بالواجبـات الشـرعية بوجهها الصـحيح؛ لـذا تجد أن المؤرخين من السلف كانوا علمـاء فقهـاء كـابن جرير الطـبري، والحافظ الذهبي، وابن كثير وابن خلـدون وغـيرهم، وكـانوا أعلم النـاس بما مضى وبواقعهم الذي يعيشون فيه، رحمهم الله أجمعين.

ومما ينبه على وجوب معرفة الواقع وأهميته لأهل العلم خاصة، ما يلي:

1- ما ورد في حديث قاتل المئة، حيث أفتاه الثاني –العالم- بترك أرضـه؛ لأنه أدرك خطورة البيئة بعد أن عرف واقع البيئة.

2- إخبار الله بهزيمة الروم بمكة قبل الهجرة لَفَتَ أنظارهم بهذه الآيـات إلى واقع العـالم من حـولهم في زمـانهم وإلى مـوازين القـوى الدولية فيه؟، وهو ما نعبر عنه بالاهتمام بالسياسة الدولية والصـراعات العالميـة، إذ كانت الفرس والروم هما القوتين العظميين في ذلك الوقت.

وليس الاهتمام بالسياسة الدولية من باب النافلة، بل هو واجب أيضـاً لما يترتب عليه من واجبات أملتها عالمية هذا الدين وعموم بعثة النـبي صـلى الله عليه وسلم إلى الخلق كافـة، هـذا العمـوم الـذي تـرتب عليه تقسـيم الخلق إلى مؤمن وكافر، وتقسـيم العـالم إلى دار إسـلام ودار كفر. قـال تعالى: (لِيَكُـونَ لِلْعَـالَمِينَ نَـذِيراً) الفرقـان 1، وقـال تعـالى: (قُـلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً) الأعراف 158.

3- ما نبّه عليه رسول الله صلى الله عليه وسـلم بقوله: (مثـلُ المؤمـنين في تـوادّهم وتـراحمهم وتعـاطفهم، مثـلُ الجسد إذا اشـتكى منه عضـوٌ تداعى له سائرُ الجسد بالسَّـهَر والحُمَّى) متفق عليه. فهـذا الحـديث يـدل بإشارته على وجوب معرفة أحوال المسـلمين في العـالم وواقعهم، على العـالِم والعـامي على السـواء، للعمـوم الـوارد في الحـديث، وأن يهتم المسلم لما يصـيب المسـلمين في أي مكـان، وأن يُعينَهم بنفسه أو بماله أو بدعائه، فمن لم يفعل ذلك فليس من هذا الجسد إذ لم يتأثر بما أصـاب الجسد.

إلا أننا نرى قلة من أهل العلم مَن يتابع واقعه، وترى أكثرهم يتـوارى من الواقع السياسي المرير إما إلى الاعتزال أو إلى أروقة مسائل شـرعية لا تتعلق بنظام الحكم.

*** وهذه أمثلة لأهمية معرفة الأحداث المعاصرة أو القديمة لطالب العلم:**

1. إذا وقَعَت حادثة معاصـرة ورأينا أهل العلم السـابقين أفتـوا بفتـوى وأردنا الاسـتفادة منها فلا بد من معرفة ملابَسـات حـالتهم لنعـرف مـدى انطباق واقعتِهم على واقعتِنا.

2. تحـريم تـداول كتب تشتـــمل على الكفــر الصــريــح أو بـدع الضـلالة موجودة في أسواق المسلمـين الآن -كرسائل إخوان الصفا-.

3. كثير من رجال يقـدمهم الطـواغيت المعاصـرون للأجيـال الناشـئة من المسـلمين على أنهم عبـاقرة مصـلحون، وإذا بحثت في تـاريخهم وجـدت أنهم مجرمون كان شغلهم الشاغل إفساد المسـلمين وتخـريب عقـولهم(2). وهذه المعرفة تترتب عليها أحكام منها:

أ) معرفة أوليائهم الذين يتبعون منهجهم.

ب) الحذر من ضلالهم وإفسادهم.

ت) تحريم النظر في كتبهم وتأثيم من يشارك في طبعها وترويجها.

4. ومن ناحية مقابِلَةٍ ...لتبريء ساحة من افْتُري عليه خاصة إن كـان من الأفاضل؛ لأن الذب عن المسلم مطلوب.
5. والحكم بتصحيح حديث أو تضعيفه يستلزم النظر في تـواريخ عـدد من الرجال هم رجال سلسلة إسناد هذا الحديث.
*** والناظرُ في تاريخ العالم وخاصة في الـ/500/ـ سـنة الماضـية -وهو ما يُسمى بالتاريخ الدولي الحديث- يَخْـرُج بعـدة نتـائج، هي ثمـرةُ دراسة هـذا التاريخ، ومنها:**
1- أهم الحقائق المفسرة لأحـداث التـاريخ هي الاختلاف الـذي أراده الله قدراً بين الخلق، وما ترتب عليه من صراعات وتحـولات على مـرّ التـاريخ، مع ما يترتب على هذا الاختلاف القدري من واجبات شرعية، وقد ذكر الله تعالى هذا الاختلاف في نصوصٍ كثيرة منها: (وَلَـوْ شَـاءَ رَبُّكَ لَجَعَـلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِـدَةً وَلا يَزَالُـونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِـذَلِكَ خَلَقَهُمْ) هـود 118 ـــ 119، وهـذا الاختلاف عـدة أنـواع: منه ما يكـون بين المسـلمين بعضِهم بعضاً، وهو من أسـباب تسـلط الكفـار عليهم، ومنه الاختلاف بين الكافرين بعضِهم بعضـاً، ومنه الاختــلاف بين الكافــرين والمؤمنــين.
والتاريخ الإسـلامي هو الترجمة الواقعية للحقـائق الشـرعية، وجـزء كبـير منه هو تــاريخ التفـــرق والاختلاف والتقاتل على الملك والســلطان مما أضعف هذه الأمة على التدرج، ومكّن للكافرين منها كالصليبيين والمغـول الوثنـيين، حـتى تمكن الكـافرون من تمزيق هـذه الأمة إلى أشـلاء ممزعة في هذا الزمان، قال تعالى (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِـيبَةٍ فَبِمَا كَسَـبَتْ أَيْـدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ). [الشورى 30].
وهذا التفـرق والتقاتل هو مصـداق قوله صـلى الله عليه وسـلم: (سـألت ربي ثلاثــاً...وســألته أن لا يجعل بأســهم بينهم فمَنَعَنِيْها) رواه مســلم. ومقتضى ذلك أن لا يــزال الاختلاف والتقاتل واقعــاً في الأمــة، وهو ما تؤكده أحداث التاريخ.
فإذا اختلف المسلمون وتقاتلوا سلّط الله عليهم العـدو الكـافر (....وإني قد أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بســنةٍ عامة وأن لا أســلط عليهم عـــدواً ممن سـواهم فيهلكهم بعامة حـتى يكـونَ بعضُـهم يُهْلِـكُ بعضـاً وبعضـهم يقتل بعضاً وبعضهم يَسْبِي بعضاً)(3)، وقال النبي صلى الله عليه وسـلم (إني لا أخاف على أمتي إلا الأئمة المضلين، فإذا وُضِعَ السـيف في أمـتي لم يُرفع عنهم إلى يوم القيامة)(3)، فاختلاف المسلمين وتقـاتلهم قـدر محتوم لامناص منه وتسلط العدو الكافر مترتب على ذلك.
- ومـع ذلـك فقـد كانـت هنـــاك فتـــرات مضيـــئة في تاريـخ المسلمـــين وارتبطـت هذه دائماً بتجديد الدين وظهـور السـنة وقمع البدعة كما حـدث في عصر عمر بن عبد العزيز ونـور الـدين محمـود زنكي وغـيرهم، فإنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، و(إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَـوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) الرعد:11.
والتـاريخ الــدولي الحـديث -شأنه شأن التاريخ كله- ما هو إلا سلسـلة من الصراعات والحروب تَعقُبها معاهدات يعاد فيها ترتيب القـوى في العـالم، وسنةُ الله كما قال تعالى: (وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَـهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَـدَتِ الأَرْضُ) البقرة 251.

2- أساس ما يَحْكم علاقاتِ الدول ببعضها هو القوة، لا النياتُ الحسنة ولا المشاعر النبيلة، والسياسة الدولية هي سياسة القوة، واللغة المتداوَلَة فيها هي لغة القوة، وقد تُغَلِّفُ القوةُ أحياناً بأقْنِعة وقفازات ناعمة وكلماتٍ مَغْسُولة اسمها الدبلوماسية، ولكن تبقى القوة هي الموجِّهَ للدبلوماسية من خلف الأقنعة.

والقوة كما أنها تنفع في القتال فإنها تنفع في منعه وفي فرض الإرادة، وهذا يُسمى "سياسة الردع" -ومنه الردع التقليدي والردع النووي وحرب النجوم- والردع هو ما ذكره الله تعالى في قوله: (تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ). ولأجل هذا:

أ) كان سباق التسلح بين الدول، وكانت الحرب الباردة بينها.

ب) ولأجل هذا فإن أمريكا مستعدة لدفع مئات ملايين الدولارات لجمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق كروسيا وأوكرانيا لتفكيك أسلحتها النووية.

ج) وتَفْرِضُ أمريكا الحَظْر على الأسلحة الكيماوية والبيولوجية، وعلى نقل التكنولوجيا التسليحية المتقدمة لمختلف الدول.

د) ووَضَعَت معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية لتُطَبَّقَ على غيرها من الدول -لا عليها ولا على حلفائها-، واختَرَعَتْ ما يُسَمى بالتفتيش الدَّوْلي على الأنشطة النووية للدول وذلك لتتحكم وحدَها وحلفاؤها بالردع النووي ولتبقى متربعة على عرش القوة في العالم، ثم تراها لا تتوانى في فرض العقوبات بواسطة الأمم المتحدة على من يخالف ذلك.

- ولأجل تحصيل القوة كانت الدول شديدة الحرص على التحالفات عند خوض المعارك؛ لأن التحالف يزيد القوة، وأستاذة التحالفات بلا منازع في القرون الماضية كانت بريطانيا، وتلقت أمريكا هذا الدرس منها وأتقنته:

ففور خروجها من الحرب العالمية الثانية كإحدى القوتين العظميين في العالم أحاطت الاتحاد السوفيتي بسلسلة متصلة من الأحلاف [الأطلنطي - المركزي - حلف دول جنوب شرق آسيا الذي مكنها من خوض الحربين الكورية والفيتنامية].

وعندما أرادت أمريكا ضرب العراق في حرب الخليج 1990ــ 1991م حَشَدَتْ تحالفاً من ثلاثين دولة، مع مقدرتها لوحدها.

وفي الصومال عام 1992م حَشَدت تحالفاً من عشرين دولةً تقريباً.

كلُّ هذا لاعتباراتٍ دولية ولتدفع بجنود الدول الحليفة الضعيفة في المقدمة لتتحمل أفدح الخسائر البشرية ويَسْلَمَ جنود أمريكا.

وبفهم أصل هذه السياسة (سياسة التحالفات) يمكن تفسير كثير من أحداث التاريخ الماضي والمعاصر.

- ولأجل الاحتفاظ بالقوة، ولكي يبقى القوي قوياً والضعيف ضعيفاً، كان المنتصرون يُمْلون شروطهم على المهزومين في المعاهدات التي تُعْقَد عقب الحروب بما يحقق هذا، وهذه الشروط نسخة مكررة ومعادة في كل حرب، وهى: تقسيم أرض الدولة المهزومة، وتخفيض عدد أفراد جيشها وتخفيض تسليحه، وإلزام الدولة المهزومة بدفع تعويضات مالية تنهكها لسنوات طويلة، بل أحياناً يُمْلي المنتصر سياسته وأيديولوجيته على المهزوم كما فَعَلت أمريكا باليابان في الحرب العالمية الثانية.

- ولأجل الاحتفـاظ بـالقوة يَضَـع المنتصـرون أسسـاً لسياسة العـالم بما يحقق مصالحهم، كـ(عصـبة الأمم) عـام 1920م ثم (هيئة الأمم المتحـدة) عام 1945م، ليتخذ المنتصرون ما يشاؤون من قرارات باسم العالم كلــه، مع احتفاظهم -دون سائر دول العالم- بما يسمى "حق النقض" (الفيتو).

واليوم تَفْرِض أمريكا ما يسمى بالنظام العالمي الجديد، وهو نظـام العصا الأمريكية الغليظة الطويلة المُغَلَّفة بأغلفة ناعمة برّاقة اســــــمها حماية حقوق الإنسان، وحماية الديمقراطية، والشَّرْعِيّة الدولية، وكلها طـواغيت عصرية.

*** والنـاظــر في التــاريخ يجــد أن قــوة الــدول نوعان: قوة ذاتية وقـوة إضافية.**

أ - أما القــوة الذاتية للدولة فهي محصـلة قـوتين: قـوة معنويـة، وأخـرى مادية.

ب- وأما القــوة المعنوية: فهي أن يكــون لــدى أهل هــذه الدولة عقيــدة تدفعهم -ولو فاسـدة-، كـالتغني بمجد الأجـداد، وكادعـاء حق شـعب معين في أرض؛ كدعوى اليهود في أرض فلسطين، وكعقيدة تَفَـوُّق جنس على جنس، كالجنس الأبيض.

وأمــا القــــوة الماديــة: فتعتمد على كـثرة المـال -الـثروة، وبها تتحصل العُدد- والعَدَد، وقد ذَكَرها الله تعالى في أكثرَ من آية كأركان للقـوة، منها قوله تعالى (كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْـوَالاً وَأَوْلَاداً) التوبة 69.

والـدول في سعيها للقـوة تسـعى لتكثـير أموالها وأعـدادها؛ إما بتشـجيع التناسل كإيران اليوم، أو بتشـجيع الهجـرة إليها كدولة اليهـود، أو بتوحيد عـدة دول في دولة كما فعل بسـمارك في ألمانيا 1871م، وأهمها اليـوم سعي الأوربيين للتوحد.

وفي المقابـل: عنـدما تسعــى دولة لإضـعاف أخـرى فتسـعى إلى تقليل أموالها وجيشــها وســكانها [كما حصل مع الدولة العثمانيــة، والألمانية]، وقد يتم هـذا بالإبـادة الجماعية كما فُعِل بـالهنود الحمـر، وقد يكـون هـذا بالإرهاب والمذابح الجماعية كما يفعل اليهود، وفي البوسنة وأفغانستان.

وهناك عناصر أخرى للقوة لعل أهمها: الإدارة الرشيدة للدولة ثم مِسـاحة الأرض وطبوغرافيتها وموقع الدولة وغيرها.

ب - أما القــوة الإضافيــة للدولـة: فهي الــقـــوة الناشئـة عن تحالفـــات الدولــة مع غيرها من الـــــدول، وعلاقاتها الخارجية. وهــــذه كلها تعتمد أساساً على القوة الذاتية للدولة.

3- والناظر في التاريخ يجد أن القوي يتحايل بحيل شتى لتسـويغ احتلاله بعد تغيير الأسماء؛ وذلك ليفرض على الضعيف ما شاء.

- فأمريكة مـرة تتـدخل باسم محاربة المخـدرات كما في "بنما" واعتقلت رئيسها "نورييجا" في حين كانت تجارة أمريكا مع الصـين لمـدة مئة سـنة في المخدرات.

- ومرة تتدخل أمريكا باسم حماية النظم الديمقراطية كما في "جرينادا"، وكأن جورج واشنطن -أول رئيس لأمريكا- قد وصل إلى الرياسة بـالطرق الديمقراطية؟!

- ومرة تتدخل أمريكا لأسباب إنسانية كما في شمال العراق والصـومال، وكأن أمريكا كانت إنسـانية عنـدما أبـادت ملايينَ الهنـود الحمر من سـكان أمريكا الأصليين.

- ومرة ترفع أمريكا سـيف محاربة الإرهـاب في وجه من لا يلف لَفّها من الــدول، وكـــأن أمريكا لم تكن إرهابية عنـــدما ألقت القنابل الذرية على اليابان عام 1945، وعندما أبادت سكان فيتنـام في حـرب دامت عشـرين عامـاً، وكـأن دولة اليهـود -الـتي تتعهد أمريكا بسـلامتها- إنسـانية وغـير إرهابية! وهكـذا ديـدن أمريكة تتهم غيرها بالإرهـاب والديكتاتوريـة، وهي غاطسة حتى الشحمتين في الإرهاب المـذموم، من بـاب: "رمتـني بـدائها وانسلّت".

4- النـاظر في التـاريخ يـرى أن الظلم مرتعه وخيم، وأن الظـالم لا بد سيأتي يوم الاقتصاص منه، وأن الدول المتجـبرة مآلها إلى انهيـار عـاجلاً أو آجلاً، ويبدو أن أمريكة المتغطرسة لم تَـعِ بعـدُ قـولَهم: "إذا ظلمتَ من دونَـكَ فلا تـأمَنْ عـذابَ من فوقَـكَ"، فاللَه لا يرضى الظلم أن يقع على الكافرين فكيف إذا وقع على عباده الصالحين؟

5- الحضارة الغربية حضارة لا أخلاقية، إلهها المال، ومبدؤها "الغاية تبرر الوسيلة". بل الكفـار عمومـاً لا يعرفـون إلا إلهـاً واحـداً هو المـال، وفي سـبيله يرتكبـون أقبح الفظـائع، وما الربا إلا وسـيلة يمتص بها الأغنيـاء أمـوال الفقـراء دولاً كـانوا أو أفـراداً، وكل من عبد غـير الله فهو يعبد الشيطان على الحقيقة.

- ففي الإبـادة الجماعية مع شـعب فيتنـام وصـلت الخسَّـة إلى أن تعهد الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون بإعادة فيتنام إلى العصر الحجري، وقد جاء في بعض التقديرات أن أمريكا ألقت على فيتنام - خلال الحرب الـتي استمرت عشرين عاماً (1955 ـ 1975)ـ كمية من القنابل أكثر من جميع القنابل التي استخدمتها أطراف الصـراع كلها في الحـرب العالمية الثانية (1939 ــ 1945).

وأمريكا الـتي تـزعم محاربتها لتجـارة المخـدرات اليـوم كـانت تجارتهاا الوحيدة مع الصين لمدة قرن من الزمان في المخدرات.

- والحصـارات الاقتصـادية لا تُرْهِق إلا أبنـاء البلاد دون طـواغيت الحكم، الذين يَبْقَون في رفاهية ونعيم.

هذه هي الحضـارة الغربيـة الـتي تتغـنى بالشعــارات الجميلة كَـذِباً تُخفي وراءه وجهاً قذراً، فهي حضارة السلب والنهب والإبـادة الجماعية وتجـارة المخدرات وخيانة العهود.

6- والناظر في التـاريخ يجد شـدة اختلاف الكفـــار فيما بينهم بما يـؤدي إلى إشعـــال الصراعـــات المدمـــرة بينهم، كالحـــرب العالميـــة الثانية (1939 ــ 1945م)، حيث سـقط فيها خمسـون مليـون قتيل في مختلــف أنحـاء العـالم، وسـقط عشـرة ملايين قتيل في الحـرب العالمية الأولى (1914 ـــ 1918م). وهـــذا كله مصـــداقُ قوله تعـــالى - في الكـــافرين- (تَحْسَبُهم جميعاً وقلوبهم شتى) الحشر 14، وقوله تعالى (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة) المائدة 64.

7- ومع اختلاف الكفـــــار فيما بينَهم إلا أنهم يَتَّحِـــــدون عند مواجهة المسلمين، كما كان يوحدهم بابا روما في الحروب الصليبية الأولى، وكما كانوا يتحدون فيما يُسَمَّى بالحلف المقدس عند محاربة الدولة العثمانية.
ولا يتمكن الكـافرون من المسـلمين إلا إذا فسد المسـلمون من داخلهم أولاً، فقد قـال تعـالى: (وَمَا أَصَـابَكَ مِنْ سَـيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِـكَ) النسـاء 79، وقال تعالى: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) الشورى 30.
وأخبَرَنا الحق جل وعلا عن ضـعف كيد الكـافرين للمؤمـنين الخُلَصـاء في قوله تعـالى: (فَقَـاتِلُوا أَوْلِيَـاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْـدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَـعِيفاً) النساء 76، وفي قوله: (لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَـرُونَ) آل عمـران 111، وفي قوله: (وَإِنْ تَصْـبِرُوا وَتَتَّقُـوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَـيْئاً) آل عمـران 120، وهي سـنة لا تتخلـف، وإن حَصَـل فلِتَخَلُّف أسبابها.
8- والناظر في التاريخ يَرى الدمارَ الهائلَ الذي يَصُبُّه الله على الكـافرين في مختلف البلـــدان -والـــذي لا يُقـــارَن أبـــداً بـــالكوارث الـــتي تُصـــيب المسلمين-، سـواء كـان هـذا الـدمار بسـبب الحـروب أو بسـبب الظـواهر الكونية كالزلازل والـبراكين والفيضـانات والأعاصـير والصـواعق وغيرها.
وهذا الدمار الذي يَحُلُّ بالكافرين في الدنيا هو مصـداق قوله تعـالى: (وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ) الرعد 31، وقـال تعـالى: (وَلَنُـذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَـذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) السجدة 21ـ فانظر كيف يعـذبهم الله في الدنيا قبل الآخرة لعلهم يتوبون؟ وهذا لا يتعـارض مع إمـداد الله لهم استدراجاً.
9- الناظر في التاريخ -خاصة الإسـلامي- يـرى القواصم تتبعها العواصـم، وهذا من لطف الله تعالى بعباده من ناحيـة، ومن ناحية أخـرى لئلا يـيئس عبـــاده وليعلمـــوا أنه قد يولد الأمل من رحم الألم، ولكي لا ينســـوا أن الأصــابع الملتوية قد ترسم خطــاً مســتقيماً؛ فكم من رجل جَــدَّد به الله الدين، وأحيا الشعائر، وكم من فئة قليلة غَلَبَتْ فئة كثيرة بإذن الله.
*** كل النتـائج السـالفة تـبين لك أهمية دراسة التـاريخ، مع ربط وقائعه بالثوابت الشرعية التي يُحَصِّلها الدارس من دراسته الشـرعية، وقد عَرَفْنا حكمَ دراسة الواقع من قبـــلُ، فما هي حقيقة واقع المســـلمين اليـــوم باختصار؟**
*** حقيقة الواقع المعاصر بإيجاز:**
حيثما يَمَّمْتَ بصـرَك لا تجد لواقعنا إلا حقيقـةً واحـدة وهى فتـكُ الكفـار بالمسلمين فتكاً ذريعاً في شتى المجالات وفي شتى البلــدان، مع بغيضة مُسْتَكِنَّة في أنفسهم، وهذه حقيقة قرآنية:
- (وَلا يَزَالُونَ يُقَـاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَـرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْـتَطَاعُوا) البقـرة 217،
- (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْـدِ إِيمَـانِكُمْ كُفَّارًا حَسَـداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ) البقرة 109،
وفي مقابل هذا أمرنا الله بإعداد القوة، وأَمَرَنا بغـزوهم في عُقْر دارهم، وهو جهاد الطلب، وهو من أنواع الحـرب الوقائيـة، قـال تعـالى (فَـاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) التوبة 5، وبهذا ظل المسلمون أعزة، وكـان

الكفـار يتربصـون للإيقـاع بالمسـلمين، وفشـلوا مـرات عديـدة، إلا أنهم -وبسـبب تفريط المسـلمين في إعـداد القـوة وفي الجهـاد- تَمَكّنـوا في الوقت الحاضر من الإيقاع بالمسلمين والفتك بهم، هذا الواقع الذي يعـبر عنه بصـدق قـول النـبي صـلى الله عليه وسـلم (يُوْشِـكُ الأممُ أنْ تَـداعى عليكم كما تَداعى الأَكَلَةُ إلى قَصْعَتِها! فقال قائل: ومِنْ قِلَّةٍ نحن يومئذ؟! قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غُثـاءٌ كغُثـاء السَّـيل، ولَيَنْـزِعَنَّ اللـهُ من صدورِ عـدوِّكم المَهابَـةَ منكم، ولَيَقْـذِفَنّ اللـهُ في قلـوبِكم الـوَهْن، فقـال قائلٌ: يا رسـول الله وما الـوهْن؟ قـال: حبُّ الـدنيا وكراهيـةُ المـوت)(4)، وفي رواية الإمــام أحمد: (حبُّكم الــدنيا، وكـــراهيتكم القتـــال). وأي ذل وهوان أشد من أن يبلغ عدد المسلمين 1200 مليون نسمة -حوالي خُمس سـكان العـالم- وليست لهم دار إسـلام يـأوون إليها ولا إمـامٌ للمسـلمين يلوذون به، غثاء كغثاء السيل.

وقد بدأ فتك الكفار بالمسلمين منذ أكثر من مئة سنة، مع الضعف الشديد الذي دَبّ في جسد الدولة العثمانية حكومةً ورعية، فأخذ الكفـار في نهش هذا الجسد وتمزيقه وإفساده حتى لا تقوم له قائمة، وصـار الجهـاد جهـادَ دفعٍ واجباً على الأعيان.

*** وقد اتَّخَذَ فَتْكُ الكفار بالمسلمين عدةَ صور تم التخطيط لها بدقة حـتى تُحَقِّق أهدافها، ومن هذه الصور:**

1- التقسـيم: على مبـدأ "فَـرِّقْ تَسُـدْ"، ولو اتحـدت هـذه الـدول في دولة واحـدة كما كـانت في ظل الخلافة الإسـلامية لتكـونت منها قـوة عظمى بشرية واقتصادية وعسكرية.

وقد حاولوا ترسيخ أسباب الضعــف والانقســام من خلال:

أ- مشاكل الحدود: فتركوا عند تقسـيم دولة الخلافة منـاطقَ محايـدة ليتم النزاع عليها.

ب- اختلاف الأنظمة والأيديولوجيات في الدول المتجاورة.

ج- تمليك الأقليـــات -الدينية أو العائلية- زمــام الحكم في البلاد: [موارنة-نصـيرية- أُسَـر خليجية-] والـتي سـتحول دون إنشـاء جيـوش قوية خشـية الانقلاب عليهـا، وبالمقابل ترسـيخ علاقتها مع الكـافر شـرقياً أو غربيـاً والنتيجة هي أن تظل البلاد ضعيفة مستنزفة مالياً، وهـذا هو الواقـع، لئلا ينطبق عليها المثل: "سمِّن ***ك يأكلْك".

إلا أن حكـام العـرب -غالبـاً- بمن فيهم بلاد العـراق اليـوم يَصْـدُق فيهم المثل: "بَطْنٌ جِـائعٌ ووَجْـهٌ مَـدْهُونٌ"، ويَصْـدُق فيما بينَهم وبَين شُـعوبهم قولُهم: "جَوِّعْ كَلْبَك يَتْبَعْك"، فمتى تصحو الشعوب النائمة؟!

د- محاربة أيِّ محاولةٍ للوَحْـدة -أو حـتى التعـاون المثمر- بين هـذه الـدول رغم كفرها.

2- إحلال حكومـات لادينية في هـذه الـدول الضـعيفة في منـاحي الحيـاة الداخلية والخارجية لسَــلْخِ المســلمين عن دينهم، وكم وَظّفــوا الـــدين لِيَنْخِروا الدين باسم الـدين، فصـار الـدين تابعـاً للسياسـة، بـدل أن يكـون العكس.

3- إنشــاء دولــة اليهـود في قلب العالــم العـربي، بل في قلب العـالم الإسلامي.

4- إفساد الشعوب المسلمة بالرذيلة والخلاعة.

5- حرمـان بلاد المسـلمين من أسـرار التكنولوجيا المتقدمـة، فضـلاً عن إنتاجها، ومحاربة أي محاولة لإنشاء الصناعات الثقيلة أو المتقدمة بها.

6- استنزاف خيرات المسلمين من خلال صور عديدة:

- **اسـتنزاف العقــول النابهـة من بلاد المسـلمين؛ ليقـوم هـؤلاء بخدمة الكفار ولتظل بلاد المسلمين متخلفة محرومة من خبراتهم.**
- **حصـول الــدول الكبـرى على المـواد الأولية كـالبترول وغـيره بأسـعار زهيدة، مع بيع سلعها المختلفة في أسواق الدول العربية بأسعار عالية.**
- **إشعال الخلافات أو الحروب وما يتبعه من بيع الأسلحة والدمار الشامل ثم إعادة الإعمار بواسطة شركات الدول الكبرى، ومحصلةُ هذا كله انتقال أمــوال المســلمين إلى خــزائن قــوى الكفر العالمية. وقد بلغت خســائر عشـــرين دولة عربية - بســـبب حـــرب الخليج بين العـــراق والكـــويت 1990/1991م- مبلغ ستمائة وثمانين ألف مليون دولار.**
- **تحويل أمــوال بلاد المسلمــين الغنية إلى خـزائن قـوى الكفر العالمية عن طريق صورتين:**

أ- بادخار الفوائد في بنوكهم لِمَا توفره من سرية وأمان حسب دعـايتهم، وذلك في مقابل عـــدم الاســـتقرار في بنـــوك المنطقة العربية وعـــدم استقرار قوانينها وأنظمة الحكم فيها. وتبلغ مدخرات العـرب في البنـوك الغربية -في بعض التقـديرات- سـتمائة ألف مليـون دولار، لو أُنْفِقَت في التنمية والتعمـير داخل بلاد العـرب والمسـلمين لأغنت كثـيراً من أهلهـا، ولأحدَثَتْ نهضة زراعية وصناعية ببلادهم.

ب- بإغراق الدول الفقيرة في الديون الخارجية الربوية -والتي تذهب إلى جيوب الحكام الخونة المفسدين- ثم تظل هذه الـدول تـدفع أقسـاط هـذه الـديون وفوائــدها لعشـرات السـنين بما يبلغ أضـعافَ أضـعافِ القـرض الأصلي، وبما يُخَرِّب اقتصاد هذه الدول، بل يجعل هذه الـدول واقتصـادها تحت سيطرة الدائنين.

إن معظم مشاكل العالم الإسـلامي يرجع إلى فسـاد الإدارة الحكومية من أكـبر رأس إلى أصـغر رأس، فـالكبير يسـرق السـرقة الكبـيرة ويتعـاطى الرشوة والعمولات الكبيرة، والموظف الصغير يسرق ويرتشي دون ذلــك، والشـعوب الإسـلامية تتضـور جوعـاً، وهـذه أدنى العقوبـات القدرية الـتي يُنزلها الله بهذه الشعوب الفاسقة بقعودها عن الجهـاد والأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر، وبمتابعتها للحكام الطواغيت، قال تعالى: (فَاسْـتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَـاعُوهُ إِنَّهُمْ كَـانُوا قَوْمًا فَاسِـقِينَ) الزخـرف 54، وقـال تعـالى: (فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَـادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَـاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ) النسـاء 160، فالظالمون يَحرمهم الله من الطيبات تحريماً قـدرياً وإن لم تُحَـرَّم عليهم شرعاً، ذكر هذا ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله، وهذا التحريم القـدري يكون بالفقر والجوع أو بالمرض وغيرها.

- هذه هي حقيقــة واقــع المسلمــين المعاصــر، وهي فتكُ الكفـار بهم فتكـاً ذريعـاً في شـتى المجـالات وشـتى البلـدان، بمعاصي المسـلمين وبذنوبهم؛ وإن من أكبر الذنوب القعودَ عن الجهاد في سـبيل الله تعـالى، أو عن الإعداد -على أقـلِّ تقـدير-، وكما يكـون النـاس يُـولّى عليهم، قـال تعـالى: (وَكَـذَلِكَ نُـوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًـا بِمَا كَـانُوا يَكْسِـبُونَ) الأنعـام 129، وبالمقابل فإن الله ليس بحاجتنا ويؤيد دينه بالرجل الفاجر كما صح

في الحديث، وسيُعْلي أمـره، فاسْـعَ أن تكـون ممن يُعْليـه، ولا تخشَ على دين رب العالمين بقدر ما تخشى أن لا تكون من حاملي ألويته.
عصيْنـــا وخالفنا فَعَاقَبْتَ عدلاً وحَكَّمْتَ فينا اليوم من ليس يرحم
فهل من فيئة؟
ومَن لا يعرف لماذا انهزَم لا يَعْرف كيف ينتصر؟
- وسنجد إن شاء الله في هذه السلسلة "من خفايا التـاريخ" وقـائعَ تؤكد هــذه الدراسة المــوجَزة، ولعلنا نَخْـرج منها بفوائد يمكن أن نضــيفها إلى البحث السالف في هذهالحلْقة.
-انتهت الحلقة الثانية-

الحلْقة الثالثة
"وقَّافون عند حدود الله"!

ومَن وَعَى التاريخَ في صدره * أضافَ أعمـاراً إلى عُمْـره
الحمد لله على توفيقه، عنوان حلْقَتنا:
لقد هَزَّتْني هذه الحادثة من أعماقي بما فيها من عِبَر، وأخذت بمجــامعي، وتَمَلَّكَت عليّ مشاعري، حـتى أحْسَسْـتُ بنَشْـوةٍ جعلتـني أحَلِّق في سـماء السـالفين بقصصـهم الـتي كـان منها ما يأسر الألبـاب، ومنها ما يُطْـرِب الأسـماع ويسـتوقف حواسَّـك جميعَها إجلالاً لأصـحابها، وإكبـاراً لكـريم صنيعهم.
وقد سـمعتُ خلاصـتَها المشـوَّهَة وأنا خـارجَ العـراق فَفَعَلَتْ بي كل هـذا، فكيفَ إذا علمْتَ أنني الآن جالسٌ مع الشيخ "الزرقاوي" وعددٍ ممن عاصرَ القصةَ فراحَ كلٌّ يَجُود بما استَحْضَرَتْه ذاكرتُه، وأنا لا أفتأ أسجلَ...؟
حتى أنني سَجَّلْتُ كلمةً للشيخ "أبي مصعب" في غمرةِ تَحَدُّثِه عن الحادثــةِ فكَتَبْتُها خِلْسَـــةً عن أعين الرقبــاء -وقتَها- إذ رأيتُها خـــرجَتْ من الشـــيخِ عفويــــةً قلبية دون تأنيقـــــات المســــؤولين الرســـــميين ولا مداهنة الدبلوماسيين المنافقين، بساطةٌ مع صـراحةٍ لم تتـدنَّسْ بلَوْثـات البهـارج الجوفاء، كلمةٌ لعلها كان لها الدور الأكبر في تصميمي لوضع هذا العنوان في هذه الحلْقة هكذا:
"وقافون عند حدود الله"!
كانت كلمته العفوية القلبية: "خَرَجوا وخَرَجَ حَلْقي معهم"!!!!

والقصة وما فيها أن ثلاثة أمريكـــيين مع مـــترجِمٍ عـــراقي ألقت القبضَ عليهم إحدى دورياتِ المجاهدين التي تَجوبُ أحياءً الفلوجة مُراقِبةً للوضع الأمــني ومحافظــةً على ســلامة الســكان من أي اعتــداء، إلا أن أحــدَهما اســترالي الأصل والثــاني إيرلنــدي الأصــل، فأخــذوهما ووضــعوهما في "غوانتنامو"!

وهو مكانٌ اعتاد فيه المجاهدون أن يضعوا فيه الأسرى قبل تـأمين مكـانٍ خاصٍ للأسرى، وشاع بينهم هذا الاسم نكايةً في أمريكا التي أَسَرَتْ كثيراً من أبناء الأمة الإسلامية وزَجَّتْهم في "كوبا".

وقد شَــرَع لنا ديننا –وكلُّه عــدلٌ وإنصــاف- أن نأسر من أفــرادِ أعــدائِنا المحاربين لنا مَن نشاء بشرطِ أن لا يكون بيننا وبينهم عهدٌ، وذلك لنفاديَ أسرانا الذين عنـدهم، حـتى لو لم يكن المأسـور ممن يرتـدي بِـزَّة الجيش النِّظامي لحظةَ الأسر، ففي صحيح مسـلم (عن عمـران بن حصـين قـال: كانت ثقيف حلفاءَ لبني عقيل، فأسَرَتْ ثقيف رجلينِ من أصـحاب رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم، وأسَـرَ أصـحابُ رسـولَ الله صـلى الله عليه وسلم رجلاً من بني عقيل، وأصابوا معه العَضْباء، فـأتى عليه رسـول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الوثـاق، فقـال: يا محمد! فأتـاه فقـال: ما شأنك؟ فقال: بما أخذتني وأخذتَ سَابِقَة الحاج؟ -يعـني العضـباء- فقـال: إعظاما لذلك أخذتُكَ بجريرة حلفائِكَ ثقيف ثم انصرف عنه، فناداه فقـال: يا محمد يا محمد! وكـان صـلى الله عليه وسـلم رحيمـاً رقيقـاً، فقـال: ما شـأنُك؟ قـال إني مسـلم، قـال: لو قُلْتَها وأنت تملـكُ أمـرك أَفْلَحْتَ كـلَّ الفلاح، ثم انصـرف فنـاداه فقـال: يا محمـد، يا محمد! فأتـاه فقـال: ما شأنك؟ قال: إني جائع فأطعمني وظمـآن فاسـقني، قـال: هـذه حاجتـك، ففُدِيَ بالرجلين).

وما لَبِثَ الشـيخُ "الزرقـاوي" أن أَصْـدَرَ أمـراً بخياطة /3/ـ بِـذْلاتٍ برتقاليـةِ اللــون لهم كما تفعل أمريكا بأبنائنــا، فهــذا جــزاؤهم مثــلٌ بمثــلٍ، وأما العراقي المتآمر مع أعدائنا فلْيَنَـلْ قـدَرَه جـزاءَ عَمالته مع الكـافرين على أبناء أمته من المسلمين.

- وسارت الأمور ثانيَ يومٍ بعدَ الفجـرِ على أتم ما يـرام، وكـانت مطـالبُ "جماعة التوحيد والجهاد" سـهلةً على الأمريكـان كبـيرٌ شـأنها عند الشـيخ "الزرقاوي":

إخراج أخواتنا المسلمات من سجن "أبو غريب"

- فقلت للشيخ: والمـال؟!! فسـارع بحـزم ليقـول: "المـال لا نفكر به!"، يقصد أن مطالبنا أسمى من عَرَض دنيا.

مع أن ديننا شَــــرَع هـــذا وليس في الأمر غضاضــــة، ولكن قد تقتضي السياسة الشرعية تصرفاتٍ ظاهرها خشن وباطنها ناعم، أعـني فيه خـيرٌ عظيم إن شاء اللـه، وقد جـرت سـنة الله (لن تَـدَعَ شـيئاً لله عز وجـلّ إلا أبْدَلك الله خيراً منه) .

ولكنْ ما أنْ عُرف بهؤلاء الأسرى حتى سارعت الواسطات من هنا وهناك، والترجيات والاسـتجداءات، حـتى أرسل "لـواء محمد لطيف" مبعوثـاً يُنـذر بأن المدينة ستتدمر بسبب هؤلاء!

فأسْرُ هؤلاء الأمريكيين والتهديد بهم يُشَكِّل إحراجـاً كبـيراً لأمريكا خاصـةً وأن لهم صلة بسـلك الصـحافة مما يعـني أن الأمر سينتشر انتشـارَ النـار

في الهشيم في الإعلام الأمريكي بل العالمي، وهذا يعني انخفاضَ شعبية "بــوش" انخفاضــاً مُخْزِيــاً، حــتى أن أحد المُوْفَــدين للوســاطة صــرح للمجاهدين بأن "بوش" مهتم بالقضية بنفسه، هذا فضـلاً عن أن "مفكـرة الإسلام" ذكرت على صفحات الإنترنت أن أحدهما ضابط كبير.

حقاً إنها عـزة للمسـلمين أن يُنَكِّلـوا بعـدوهم كما يُنَكِّلـون هم بأبنائنا في طول الأرض وعرضها، عسكريِّها ومـدنيِّها -إن جـاز التعبيـر-، إن مثل هـذا العمل رغم تشويهِ الإعلام له ووصفِه بالإرهاب -مع أن النبي محمـداً قـام بمثله-، رغم كل هــذا، ورغم خنــوع كبــار السن من المشــايخ والكُتّــاب الإسلاميين خنـوعهم خشـيةً على حيـاتهم إلا أن شـباب الأمة يتفاعل معه ويتوقد حماسة وينتظر لحظة انفجار البركان.

- وفي غمــرة الفرحة بهــذا الصــيد الثمين لــتركيع الإدارة الامريكيــة، ولتهشيم صَلَفِها، وتحطيمِ غَطْرَسَــتِها، أتتِ الصـدمة القاصـمة والمفاجِئَةِ حين قال المترجم العراقي:"نحن ما كنا لنـدخل "الفلوجة" لـولا أن فلانـاً أمَّننا من سـكان الفلوجة واسـمه كـذا كـذا"، - وقد كـان هـؤلاء آتين من منطقة "المزرعة" التي يعسكر فيها الأمريكان والقريبة من الفلوجة أتـوا منها باتجاه الفلوجة-.

- طيب....! ومــاذا يعــني إن كــان أحد ســكان المدينة ممن لا علاقة له بالمجاهـدين ولا روابط معاهـدات بينهم، مـاذا يعـني أن يُـؤَمِّنهم أصـلاً!!! هكذا كان يُفَكِّر بعض الإخوة المجاهدين ممن لم يُؤْتَ قسطاً من العلم!

إلا أن المجاهـدين متمثلين بقيـادتهم واللجنة الشـرعية ما كـانت لتتحـرك خطوة واحدة إلا بهدي الكتاب والسنة، وكيف تتجـرأ على شــرع الله وهي التي قامت فيما قامت لتقيم شرع الله وتعلي كلمتـه، فهيهـات أن تبتغي طاعة الله بمعصيته.

والرائع حقاً في المجاهدين عموماً أنهم إن علموا أن شرع الله كذا وكــذا فينتهي عندهم اللجاج ويتلاشى قيل وقال، ويميلون جميعهم صوب شـرع الله ميلة واحدة.

وكان الجواب الشــرعي حازمـاً لا يَقبل المسـاومة فهـذا دين اللـه، وليس دستوراً أرضياً نغيره وقتما نشاء، أو قراراتٍ نيابية تُحَلُّ وتُعقد وَفق أهواء أربابها!

فكانت الفتوى: "أطلقوهم"!

- لقد كان الأمر صعباً للغاية أن تَفوت من اليد هذه الغنيمةُ الباردة، حـتى أنَّ أحد البسـطاء قـال: نعصي الله فيهم ثم نتـوب، فعقَّب الشــيخ بحـزم حازم وهو يروي عنه: "حاشى"، حاشا أن نعصي الله ولو في صغيرة مهما كان الخير بادياً في ظاهرها، فباطنه سوء العاقبة والعقاب، منه تعالى.

- وازداد الطين بِلّة، وتوسعت إغـراءات الشـيطان حينما جـاء للمجاهـدين خــبرٌ من بغـداد أنْ لا تُطْلقــوا ســراحهم لأنهم ضــباط ....وكــان الإخــوة المجاهدون على وشك الإطلاق، ولكنَّ القضيةَ محسومةٌ مهما كـان وزنُهم السياسـيُّ...إنه دين الله! وشـتانَ بين ميوعـات السياسة المعاصـرة وبين وضوح مبادئ الإسلام العظيم.

نعم تم التأكد من صحة ادعائهم أنهم مُؤمَّنون فكان الأمر كما قالوا، واحد من ســـكان المدينة المســـلمين ممن لا علاقة له بـــــ "جماعة التوحيد

والجهاد" أعطاهم الأمان، وبناءً عليه دخلوا المدينة، والنتيجةُ أنه ما عادَ يَجوز شرعاً مِساسُهم بسوء فـ(المسلمون تَتكافأ دماؤهم، ويَسْعى بذمتهم أَدْناهم، ويُجير عليهم أقصاهم، وهم يدٌ على من سِواهم) و(قد أَجَرْنا مَن أَجَرْتِ يا أمَّ هانئ)، وهذه إحدى صور عظمة هذا الدين الخالد، تكتب بماء الذهب على خدِّ الزمان.

- وكان فيما قاله الشيخ الزرقاوي وهو يسرد القصة: " الله يهديك يا "فلان" -وذكر اسم الذي أمَّنهم-، وعلى مرارة تركناه ..استجابةً للحكم الشرعي...خرجوا وخرج حلقي معهم...ولكن إنه دين الله... ومعاذ الله أن نتعدى حدود الله"!!

حقاً ما أروعها من كلمة: "إنه دين الله... ومعاذ الله أن نتعدى حدود الله"، فأين أنتم يا أرباب الدساتير الأرضية يا من تُغَيِّرون إلهكم الأرضيَّ وقْتَما تشاؤون وكلُّه باسم الشعب إسخاطاً للرب؟

قلت في نفسي: يا ويح خصوم "جماعة التوحيد والجهاد" من التيارات الإسلامية لو كانت حكيمة لكان من أسهل ما يكون أن تُقنع جماعة التوحيد والجهاد، وما عليها إلا أن تثبت لها بالدليل من الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح، سواء في مسائلَ كبارٍ كمسائل التكفير والإيمان، أو في مسائل فقهية من التعبديات، أو حتى في رؤية واقعية للتغيير، إذاً فكيف يتهمون الجماعة بالتشدد والغلو لمجرد مخالفتهم لهم في اجتهادهم مع أنهم ما أتوا فناقشوا أدلتهم وحجتهم الشرعية، فتباً لمن يكيل الاتهامات جُزافاً، وتلك شكاةٌ ظاهر عن "جماعة التوحيد والجهاد" عارها.

أين أنتم يا خصوم "جماعة التوحيد والجهاد" ممن ينادون بالإسلام...ألا تريدون أن تكسبوا "جماعة التوحيد والجهاد" إلى صفكم؟ ألا تريدون أن تتخلى عن كثير من تصرفاتها التي تصيبكم بالغثيان؟! إذاً تعالوا فالحل سهل للغاية... فقط أحضروا لهم الكتاب والسنة وأظهروا الخلل في استنباطاتهم أو منهجهم وتنتهي القضية.

تعالوا يا أصحاب الاعتدال!!!! وناقشوهم بهذا، وإني على يقين أنكم إذا أثْبَتُّم لهم بالدليل فهم أهل الدليل، ودينُ الله أحبُّ إليهم من إزهاق الأرواح.

فالأمر بسيط للغاية وما عليكم إلا أن تُثْبِتوا لهم أن الله ورسوله هكذا أمرا أو هكذا نهيا وستجدونهم جميعاً من أميرهم إلى مأمورهم يسيرون معكم في زورق واحد.

وإن لم تفعلوا فهيا سِيروا أنتم معهم في زورقهم.

هذه هي جماعة "التوحيد والجهاد" فهلموا أيها الشباب إلى ساحات الوغى، واقتربوا أيها المتهمون لهم ... اقتربوا لتروا الحقائق عن كَثَب فليس راءٍ كمن سَمِعا.

يا قومنا اتقوا الله الذي سيسأل المفتري عن افترائه فـ (من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله رَدْغَة الخَبال حتى يخرج مما قال) كما في سن أبي داود.

أين التشدد عند مَنْ منهجه: اتباع قال الله وقال رسوله؟ أين التشدد فيمن يَنشُدُ خطا سلفه الصالح؟

إننا نريد إرضـــاء الله ولا نخـــترع أحكامـــاً لم يقل بها أحد من أئمتنا السـالفين، فكيف يُدَّعى أننا نُسْخط الله ونحن نبتغي رضـاه، فـأيُّ أرضٍ تُقِلّنا وأيُّ سماء تُظِلّنا إن نحن تَعَدَّيْنا شَـرْعَ الله أو سـاهمنا في إراقـةِ دمٍ مسلمٍ ولو بشَطْرِ كلمة إلا في حَدٍّ من حدود الله.

وهكـذا يا أمـراء الجماعـات الإسـلامية أرُوهم إسـلامنا بـارك الله فيكم، أروهم إسلامنا كاملاً غير منقوص، ولا تُروْهم جانباً واحداً قد يَنْفِرون منه لوحده.

- ومع فاجعة الصدمة لم يكن الأسرى مُصَدِّقين أنهم سـيُطْلَقون وبسـبب شريعة الإسلام...ولسانُ حالهم: أيُّ شريعةٍ هذه، أيُّ شريعة هذه؟!!!!

نعم إنها شـريعتنا الغـراء لا ظلم لـديها لأنها من لَـدُنْ عـادلٍ لا يَظْلِم، وما نحن إلا جنودٌ نطبق أوامر الله في أرضه.

قال لهم أحد الإخوة أثناء إطلاقهم: لَقَتْلُكم أحبُّ إليَّ من أي شيء إلا أننا سنُرْجِع لكم كل شيء ولو كـان قطعة "بطارية"! فأعطـاه الأخ حـتى ثمنَ الحذاء الذي أُخِذ منه، والرجل امتلأ تعجباً من فَرْقِه إلى قدميه!!

وأما المـــترجم العـــراقي فحَدَّثه "أبو الـــبراء" -رحمه الله قُتِل في عملية المطار في الانسحاب- قال له: أنت هل عندك أخوات؟ ...أتقبل أن ينتهك الأمريكان عرضها؟ فكيف تَقْبَل بما تفعله معهم؟!

فصـــار الرجل يبكي ثم قـــال: ما عـــدتُ لأعمل مع الصـــحفيين بعد الآن وتاب...وصار يصلي! والله أعلم بصدق توبته، ولنا في هذا الظاهر.

وأمّا الذي أمّنهم فقد أصـدر الشـيخ الزرقـاوي أمـراً بـأن يُـؤَدَّب بنـوعٍ من التعزير حتى لا يُعيدَ الكَرَّةَ لوحده في التأمين، وأن يَتْرُك الأمر لأهل الحَـلِّ والعَقْدِ في مدينته.

ولسان حال الشيخ الزرقاوي: لأن يَكْتُبَني التـاريخ مطلـقَ غنيمة ستمسِـك أمريكة من نقطة ضعفها أحبُّ إليَّ من أن يكتبني "غادرٌ بمن أمَّنَهم الله"، وذلك على غـرار قـول الملا عمر حفظه الله: لأن يكتبـني التـاريخ مُكَسِّـر الأصـنام أحبُّ إليَّ من أن يكتبـني: حافظ الأصـنام....أو كما قـال حفظه الله.

فالتاريخ يسجل، ولئن لم تُنْشَر صحُفه في هذه الدنيا، فسيأتي يـومٌ يُبَعْثَر فيه ما في القبور.

* لقد أثـارت هـذه القصة أشـجاني فـذكرتني أولَ ما ذكرتــني بعمر بن الخطاب الذي رُبِط اسمه بالعدل وقولِ الحق لا يَخاف لومة لائم، وبحزم لا يَعرف اللين، ولكنه مع هذا كـان يتصف بصـفة قد يتعجب المـرء أن تجتمع مع صـفاته الأخـرى، هـذه الصـفة سـتعرفها بعد أن تقـرأ هـذه القصة من صحيح البخاري: [باب خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين العرف المعروف ... أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَدِمَ عُيَيْنَة بن حِصْنٍ ... فنَزَلَ على ابن أخيه "الحُرِّ بن قَيْسٍ" وكان من النفر الذين يُـدْنِيهم عمـر، وكان القراءُ أصحابُ مجالس عمرَ ومشاورتِه كهولاً كـانوا أو شـباناً فقـال عيينة لابن أخيه: يا بن أخي لك وَجْـهٌ عند هـذا الأمـير فاسـتأذِنْ لي عليـه، قال: سأستأذن لك عليه. قال ابن عباس: فاسـتأذنَ الحُـرُّ لعيينة فـأذن له عمر: فلما دخل عليه قال: هِيْ يا بنَ الخطاب!!! فواللهِ ما تُعْطينا الجَـزْل ولا تَحْكم بيننا بالعدل!!!!! فغَضِبَ عمر حتى هَمَّ به، فقال له الحُرُّ: يا أمير المؤمـنين: إن الله تعـالى قـال لنبيه صـلى الله عليه وسـلم: (خُذ العفـو،

وأْمُرْ بـالعُرْفِ، وأعْـرِضْ عن الجـاهلين) وإنَّ هـذا من الجـاهلين. فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقّافاً عند كتاب الله].

*** ثم ذكرتـني قصـتنا بإحـدى روائع التـاريخ الإسـلامي صـدرت من حفيد الفاروق أعني "عمر بن عبد العزيز"، ففي فتوح البلدان للبلاذري 1/411: [لما اسـتُخْلِفَ عمر بن عبد العزيــز، وَفَـدَ عليه قـومٌ من أهل "سَـمْرَقند" فرفعـوا إليه أن "قتيبـةَ" دخل مـدينتهم وأسـكنها المسـلمين على غَـدْرٍ، فكَتَبَ عمرُ إلى عامله يأمره أن يُنَصِّبَ لهم قاضياً يَنْظُر فيما ذكـروا؛ فـإن قضى بإخراج المسلمين أُخْرِجوا!!!!**

فنَصب لهم ... "الباجي" فحكم بإخراج المسلمين على أن يُنابــذوهم على سواء فكَرِهَ أهل مدينة "سمرقند" الحرب وأقروا المسـلمين فأقـاموا بين أَظْهُرهم].

سـبحان اللـه، بكل بسـاطة يُرْفَع الأمر إلى القضـاء الأعلى لِيَحْكُم بين كل المسلمين في المدينة وبين أهل المدينة من غـير المسـلمين، أليس هـذا وقوفاً مع حدود الله؟

*** وثـالث القصص الـتي استحضـرتها إزاء قصـتنا في "الفلوجة" والـتي تتجلى فيها مظـــاهر اطّراح أهـــواء النفس وشـــهواتِها أمـــامَ حُكْمِ الله وشرعه، هي قصة تلك الصـحابية الجليلة أم خَلاد فيما أخرجه أبو داود في السنن: (باب فضل قتال الروم على غيرهم من الأمم ... جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسـلم يقـال لها: "أم خلاد" وهي مُنْتَقِبَة تَسـأل عن ابنها وهو مقتول، فقال لها بعض أصـحاب النـبي صـلى الله عليه وسـلم: جِئْتِ تسـألينَ عن ابنك وأنت منتقبة!!! فقــالت: إنْ أُرْزَأْ ابْــني فلن أرزأَ حيائي، فقـال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم: ابنُك له أجر شـهيدين، قالت: ولمَ ذاك يا رسول الله؟ قـال: لأنه قتله أهل الكتـاب)، والحيـاء من الإيمان، فلله درها من امرأة ما منعتها المصيبة من حفظ دينها وحيائها.**

- هذا هو تاريخنا أيها الغـزاة، وهـؤلاء هم آباؤنـا، قد بَيَّضـوا وجه التـاريخ، فأرونا آباءكم، أرونا أنفسكم...أو دسوا رؤوسكم في تراب الخجل.

في سبيل الله قمنا * نبتغي رفع اللواء
ما لِحِزْبٍ قد عملنا * نحن للدين فـداء

-انتهت الحلقة الثالثة-

الحلقة الرابعة
مقاتلة الشيعة في العراق: الحُكْمُ، والحكمة
(ملف خاص بشيعة العراق)

ومَنْ وَعَى التاريخَ في صدره * أضافَ أعمـاراً إلى عُمْـره

إذا عُرِفَ السبب بَطَلَ العَجَب!!!

هكـذا قلتُ لنفسي أعاتبها بعد أن تجلَّى جـزءٌ يسـيرٌ من حقيقـةٍ مـوءودة، حقيقيةٍ اشتركت في دَسِّها أيادي الكفر مع العَمالة، أضِفْ إليها يــداً بريئة ســـاهَمَتْ من غـــيرِ قصـــدٍ -أو بحسن نية- في تكميم فم الحقيقة وخنق أنفاسها، وأعني: يدَ المجاهدين الـذين عـايَنُوا الحقـائقَ فلم يسـرِعوا إلى كشف ما تيسَّـر منها على مـرأى ومَسْـمعِ الـدنيا، أو يــدَ أحـدِ الكُتّـابِ أو الإعلامـــيين الإســـلاميين ممن يُمْكِنه الوصـــول إلى أرضِ العـــراقِ ليُجَلِّيَ للمسلمين ولو شيئاً من هذه المسكينة: "الحقيقة الموءودة".

وكنت من قبلُ خارجَ العراق كغيري أتَلَقَّفُ أخبارَ المجاهدين من الإذاعـات غالباً، وتتناهى إلى سمعي أنباءُ قتلى الروافضِ ثم صيحاتُ الاسـتنكارِ من أبناءِ السنةِ، ودعاة الوَحْدة.

وإن المتصـفح بإنصـافٍ لتـاريخِ وعقائـدِ الرافضة لن تَخْفى عليه كثـيرٌ من خفايا التـاريخ عن السـيرة السـوداء لشـيعة إيـران "الرافضة"، سـواء في عقائدهم أو في فتكهم بأبناء السنة، من بدايات تاريخ الإسلام حتى أيامنا الحالية، مما حـدا بكبـارِ علمائنا الأثبـات من أهل السـنة من خـير القـرون لِيَنْطِقوها صـريحةً لا لَبْسَ فيها في حكمهم عليهم ما بين تبـديع وتضـليل وتسفيه لسائر انحرافاتِهم ومعتقداتِهم، إلى تكفيرٍ صـريحٍ لِغُلاتهم بحسب ما تلَبَّس به الفرد الشيعي من اعتقادات أو أقوال أو أفعال، وإليك أمثلةً:

1- الإمام مالك: روى الخلال عن أبي بكر المـروذي قـال: سـمعت أبا عبد الله يقول: قال مالك: الذي يَشْـتُم أصـحاب النـبي صـلى الله عليه وسـلم ليس لهم اسم، أو قال: نصيب في الإسلام. السنة للخلال (2 / 557).

وقـال ابن كثـير عند قوله تعـالى: (مُحَمَّدٌ رَسُـولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَـهُ أَشِـدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَـاءُ بَيْنَهُمْ تَـرَاهُمْ رُكَّعـاً سُـجَّداً...): [ومن هـذه الآية انـتزع الإمام مالك رحمة الله عليه في روايةٍ عنه تكفيرَ الروافض الذين يُبْغِضون الصحابة رضي الله عنهم قال: لأنهم يُغيظونهم ومَن غاظ الصـحابة رضي الله عنهم فهو كــافر لهـذه الآية ووافقه طائفــةٌ من العلمــاء رضي الله عنهم على ذلك]. تفسير ابن كثير (4 / 219).

وقال القرطبي في تفسيره: (لقد أَحْسَنَ مالـكٌ في مقالتـه، وأصـاب في تأويله، فمن نَقَص واحداً منهم أو طعن عليه في روايته فقد رد على الله رب العالمين وأبطل شرائع المسلمين).(16 / 297).

2- الإمام أحمد: رُوِيَتْ عنه رواياتٌ عديدة في تكفـيرهم .....قـال الخلال: أخبرني عبد الملك بن عبد الحميد قال: سمعتُ أبا عبد الله قال: مَن شَتَم أخافُ عليه الكفر مثل الروافض، ثم قال: مَن شـتم أصحاب النـبي صـلى الله عليه وسلم لا نأمن أن يكون قد مَرَقَ عن الـدين. السـنة للخلال (2 / 557 ـ 558)ـ وقال أخبرني عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سألتُ أبي عن رجلٍ شَتَمَ رجلاً من أصحاب النـبي صـلى الله عليه وسـلم فقـال: ما أراه على الإسلام. قال ابن عبد القوي: (وكان الإمام أحمد يُكَفِّر مَن تَبَـرَّأَ منهم -أي الصحابة- ومن سَـبَّ عائشة أم المؤمـنين ورماها مما برأها الله منه وكان يقرأ: (يَعِظُكُمَ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ). كتاب "ما يذهب إليه الإمام أحمد" ص 21.

3- وفي خلق أفعـال العبـاد ص125 للبخـاري، وبينما كـان يـذكر أقـوال العلمـاء فيمن يقـول بخلق القـرآن: (قـال أبو عبد الله: ما أبـالي صـليتُ خلـفَ الجهمي والرافضـي، أم صـليتُ خلف اليهـود والنصـارى، ولا يُسَـلَّم عليهم ولا يُعادون ولا يُناكَحون ولا يشهدون ولا تؤكل ذبائحهم).

4- عبد القـاهر البغـدادي: (وأما أهل الأهـواء من الجارودية والهشـامية والجهمية والإمامية الذين كفَّروا خيار الصحابة ... فإنا نكفِّرُهم، ولا تجـوز الصلاة عليهم عندنا ولا الصـلاة خلفهم). "الفـرقُ بين الفِـرَق" ص 357 . وقال: (وتكفير هـؤلاء واجب في إجـازتهم على الله البـداء، وقـولهم بأنه يريد شيئاً ثم يبدو له، وقد زعموا أنه إذا أمر بشيء ثم نسخه فإنما نسـخه لأنه بدا له فيه...وما رأينا ولا سمعنا بنـوع من الكفر إلا وجـدنا شـعبة منه في مذهب الروافض). الملل والنحل ص52 -53 .

5- ابن حزم الظاهري: (وأما قولهم -يعني النصارى- في دعوى الروافض تبديل القرآن فإن الـروافض ليسـوا من المسـلمين، إنما هي فرقة حَـدَث أولها بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سـنة .. وهي طائفة تَجري مجرى اليهود والنصـارى في الكـذب والكفر). الفِصَـل في الملل والنحل (2/213).ـــ وقـــال: (ولا خلاف بين أحد من الفـــرق المنتمية إلى المسـلمين من أهل السـنة، والمعتزلة والخـوارج والمرجئة والزيدية في وجوب الأخذ بما في القرآن المتلو عنـدنا.. وإنما خـالف في ذلك قـومٌ من غلاة الـروافض وهم كفـار بـذلك مشـركون عند جميع أهل الإسلام، وليس كلامنا مع هؤلاء وإنما كلامنا مع ملتنا). الإحكام لابن حـزم (1/96).

وفي 2/208: [لا بد من الرجوع إلى الحديث ضرورةً، ولو أنَّ امرأً قال: لا يُنَفَّذُ إلا ما وجدنا في القرآن لكان كافراً بإجماع الأمة، ولكـان لا يلزمه إلا ركعة ما بين دلوك الشـمس إلى غسق الليل وأخـرى عند الفجـر؛ لأن ذلك هو أقل ما يقع عليه اسم صلاة ولا حد للأكثر في ذلـك، وقائل هـذا كـافر مشرك حلال الدم والمـال، وإنما ذهب إلى هـذا بعض غالية الرافضة ممن قد اجتمعت الأمة على كفرهم].

6- الإسفراييني: نَقَل جملةً من عقائدهم ثم حَكَم عليهم بقوله: (وليسوا في الحال على شـيء من الـدين ولا مزيد على هـذا النـوع من الكفر إذ لا بقاء فيه على شيء من الدين). التبصير في الدين ص 24 - 25.

7- أبو حامد الغـزالي، قـال: (ولأجـلِ قصـورِ فهمِ الـروافض عنه ارتكبـوا البداء، ونقلـوا عن علي رضي الله عنه أنه كـان لاَ يُخْبِر عن الغيب مخافـةَ أن يَبْدوَ له تعالى فيه فيغيره، وحَكَوا عن جعفر بن محمد أنه قـال: ما بـدا لله شــيء كما بــدا له إســماعيل أي في أمــره بذبحه .. وهــذا هو الكفر الصريح ونسبة الإله تعـالى إلى الجهل والتغيـير). المستصـفى للغـزالي (1/110).

8- القاضي عيــاض: (نقطع بتكفــير غلاة الرافضة في قــولهم إن الأئمة أفضل من الأنبياء). وقال: (وكذلك نكفِّر من أنكر القـرآن أو حرفـاً منه أو غير شيئاً منه أو زاد فيه كفعل الباطنية والإسماعيلية).

9- الســمعاني: (واجتمعت الأمة على تكفــير الإماميــة، لأنهم يعتقــدون تضــــليل الصــــحابة وينكــــرون إجمــــاعهم وينســــبونهم إلى ما لا يليق بهم).الأنساب (6/341).

10- ابن تيمية: (من زعم أن القرآن نقص منه آيات وكُتمت، أو زَعم أن له تأويلاتٍ باطنة تسـقط الأعمـال المشـروعة، فلا خلاف في كفـرهم. ومن زعم أن الصـحابة ارتـدوا بعد رسـول الله عليه الصـلاة والسـلام إلا نفـراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفسـاً أو أنهم فسـقوا عـامتهم، فهـذا لا ريب أيضـاً في كفـره؛ لأنه مكـذِّبٌ لما نصَّهُ القـرآنُ في غـير موضع من الرضا عنهم والثنـاء عليهم. بل من يشك في كفر مثل هـذا فـإنَّ كفـره متعين؛ فإن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق وأن هذه الآية التي هي: (كُنْتُمْ خَيْـرَ أُمَّةٍ أُخْـرِجَتْ لِلنَّاسِ) وخيرها هو القـرن الأول، كان عامّتُهم كفـاراً، أو فسـاقاً، ومضـمونها أن هـذه الأمة شر الأمم، وأن سابقي هذه الأمة هم شـرارها، وكُفْـرُ هـذا مما يُعْلَم بالاضـطرار من دين الإسلام). الصارم المسلول ص586 ـ 587ـ وقال أيضاً عن الرافضة: (شرٌّ من عامةِ أهل الأهـواء، وأحـقُّ بالقتـال من الخـوارج). مجمـوع الفتـاوى (28/482).

وقــال ابن تيمية في مجمــوع الفتــاوى الفقهية 32/61 حين ســئل عن الرافضة: "هل تُـزَوَّج"، فأجـاب: [الرافضة المحضة هم أهل أهـواء وبـدع وضـلال، ولا ينبغي للمسـلم أن يـزوج موليته من رافضي وإن تـزوج هو رافضـية صح النكـاح إن كـان يرجو أن تتـوب وإلا فتَـرْكُ نكاحها أفضل لئلا تُفْسِدَ عليه ولده والله أعلم].

11- وقال الإمام الـذهبي في سـير أعلام النبلاء 14/511ـ: [كل من أحب الشيخين فليس بغال، بل من تَعَـرَّض لهما بشـيء من تَنَقُّص فإنه رافضي غال، فإن سَبَّ فهو من شرار الرافضة، فإن كَفَّر فقد باء بالكفر واستحق الخزي].

وقــال في 16/458 وهو يتحــدث عن عثمــان وعلي رضي الله عنهما: [الأفضل منهما بلا شك أبو بكر وعمر؛ من خالف في ذا فهو شـيعي جَلْـد، ومن أبْغَض الشــيخين واعتقد صــحة إمامتهما فهو رافضي مقيت، ومن سـبَّهما واعتقد أنهما ليسا بإمـامي هـدى فهو من غلاة الرافضة أبعـدهم الله].

12- ابن كثـير في البداية والنهاية (5/252)ـ سـاق الأحـاديث الثابتة في السـنة، والمتضـمنة نفي دعـوى "النص والوصـية" الـتي تـدعيها الرافضة لعلي رضي الله عنه ثم عَقَّب عليها بقوله: [ولو كان الأمر كما زعمـوا لَمَا ردَّ ذلك أحدٌ من الصحابة فإنهم كـانوا أطـوع لله ولرسـوله في حياته وبعد وفاته من أن يَفْتـاتوا عليه فيُقَـدِّموا غـيرَ مَن قَدَّمَـه، ويـؤخروا من قَدَّمه بنصه، حاشا وكلا، ومَن ظَنّ بالصحابة رضوان الله عليهم ذلك فقد نسبهم بـأجمعهم إلى الفجـور والتواطؤ على معانـدة الرسـول صـلى الله عليه وسلم ومضادته في حكمه ونصه، ومن وصل من النـاس إلى هـذا المقـام فقد خَلَع ربقة الإسلام، وكَفَر بإجماع الأئمة الأعلام وكـان إراقة دمه أحل من إراقة المدام].

وفي 14/211 قال: [في صبيحة .... قُتِلَ بسـوق الخيل حسن بن الشـيخ السكاكيني على ما ظَهَر منه من الـرفض الـدال على الكفر المَحْضِ شَـهِد عليه عند القاضي شرف الدين المالكي بشهادات كثـيرة تـدل على كفـره وأنه رافضي جلد فمن ذلك: تكفـير الشـيخين رضي الله عنهمـا، وقذفه أمَّيْ المؤمـنين عائشة وحفصة رضي الله عنهمـا، وزعم أن جبريل غَلِـطَ فـأوحى إلى محمد وإنما كـان مرسـلاً إلى علي وغـير ذلك من الأقـوال الباطلة القبيحة، قَبَّحَه الله، وقد فَعَل].

13- الحافظ السيوطي في "تدريب الراوي": [الصوابُ أنه لا يُقْبَـلُ رواية الرافضةِ وسـابِّ السـلف كما ذكـره المصـنف في الروضة –يقصد النـووي رحمه الله- ... لأنّ سِـباب المسـلم فسـوق، فالصـحابة والسـلف من بـاب أولى، وقد صرح بذلك الذهبي في "الميزان" فقال: البدعة على ضَـرْبَيْن: صغرى كالتشيع بلا غلوّ، أو بغلو كمن تكلم في حق من حارب عليـاً، فهـذا كثـير في التـابعين وتـابعيهم مع الـدين والـورع والصـدق، فلو رُدَّ حـديث هـؤلاء لـذهب جملـةٌ من الآثـار النبوية وهـذه مفسـدة بَيِّنَـة، وبدعة كـبرى كالرفض الكامل والغلو فيه، والحط على أبي بكر وعمر والدعاء إلى ذلك، فهـذا النـوع لا يُحْتَجُّ بهم ولا كرامـة، وأيضـاً فما أسْتَحْضِـرُ الآنَ في هـذا الضَّـرْبِ رجلاً صـادقاً ولا مأمونـاً بل الكـذبُ شـعارُهم، والتَّقِيَّةُ والنفـاقُ دِثارُهم فكيف يقبل نقل من هـذا حاله حاشا وكلا، فالشـيعي الغـالي في زمان السـلف وعُـرْفِهم هو من تَكَلَّمَ في عثمـان والزبـير وطلحة ومعاوية وطائفة ممن حارب عليـاً رضي الله عنـه، وتَعَـرَّضَ لسـبِّهم، والغـالي في ...عرفنا هو الذى يُكَفِّر هؤلاء السادة ويتبرأ من الشيخين أيضاً فهذا ضـالٌّ مُفْتَرٍ انتهى وهذا الـذي قاله هو الصـواب الـذي لا يَحِـلُّ لمسـلمٍ أن يَعتقد خلافه...] إلخ، مع إضافة تتمة كلام الذهبي مما لم يورده السيوطي.

14- علي القاري: [وأمّا مَن سَـبَّ أحـداً من الصـحابة فهو فاسق ومبتـدع بالإجماع إلا إذا اعتقد أنه مباح كما عليه بعض الشيعة وأصحابهم أو يترتب عليه ثـواب كما هو دأب كلامهم أو اعتقد كفر الصـحابة وأهل السـنة فإنه كافر بالإجماع] .من كتابه "شم العوارض في ذم الروافض".

15- وفي عـون المعبـود شـرح أبي داود 11/264ـ: [علمـاء الشـيعة وإن وصـلوا إلى مرتبة الاجتهـاد، وبلغـوا أقصى مـراتب من أنـواع العلـوم، واشـتهروا غاية الاشـتهار لكنهم لا يَسْـتَأْهِلون المجدديـة، كيـف؟ وهم يُخَرِّبون الدين فكيف يُجَدِّدون؟ ويميتون السنن فكيف يحيونها؟ ويُرَوِّجـون البدع فكيف يَمْحُونها؟ وليسـوا إلا من الغـالين المبطلين الجـاهلين، وجُـلُّ

صناعتهم التحريفُ والانتحال والتأويل لا تجديدَ الدين ولا إحياء ما انــدرس من العمل بالكتاب والسنة].
فهذه بعض أقوال علمائنا السالفين في الرافضة على مدار القرون، وكل شيعي اليـوم تثبت عليه هـذه العقائد الـتي كفَّرهم أئمتنا المتقـدمون بها فهو مثلهم لا فرق بينه وبين أجداده، فإن كان الفرد الشـيعي ممتنعـاً مع طائفته التي رأسـها وأهـدافها وشـعاراتها متلبسـةٌ بـالكفر الصُّـراح، ولم نستطع استبانة الموانع منه فهذا الشـيعي يعامل مع طائفته كطائفة ردة وَفْقَ ما بَيَّنَه علماءُ التوحيد في كتبهم(2).
وبما أن كثـيراً من أبنـاء السـنة في عالمنا الإسـلامي يَجْهَل حكم علمائنا السالفين، بل يظن الروافض كسائر المسلمين في بقاع الأرض، فكـان لا بدَّ للدعاةِ من إيقاظِ النائمِ وتنبيهِ السارح.
وليس من مبـــادئ الإســـلام تزوير الحقـــائق، فكلمة التوحيد قبل توحيد الكلمـة، وما رَأَيْنا أجـدادنا العلمـاء داهَنـوا أو تَمَلَّقـوا أو تنـازلوا مع فِـرَق الضـــلالةِ بحجـــةِ الوَحْـــدة، وبهـــذه الطريقة الـــتي يُمَيِّع بها كثـــيرٌ من "الإسلاميين" ثوابتَ الإسلام.
فهذا هو الحكم الشرعي في هؤلاء -طوائـفَ وأفـراداً- صـريحاً لا مـداورةَ فيه ولا دوران.... ولكن ثمَّةَ وِقْفَة!!!
فلا أُخْفِيْكم أنــني مع علمي بخبثهم الـدفين، إلا أنــني في داخِلَـتي كنت أقول: أَوَمِنَ الحكمة العملية الآن الانشـغالُ بالرافضـة؟ وعلى التَّنَـزُّل: أيُّ حكمة تُحَبِّذُ الإعلان بهذا على مسامع الناس المُغَـرَّر بهم، كما فعل الشـيخ "الزرقــاوي"؟... أَوَلَيْس كثـيرٌ من الكفــارِ المجـاهرين ممن لا يختلف في استحسان قتلهم كبيرٌ أو صغيرٌ من أبناء العالم الإسلامي.... أَوَلَيس هؤلاء أجدرُ بالمجاهرةِ بقتالهم؟
...إنه أمرٌ -وقتَها- كان أقربَ إلى جلاء البدر في الليلة الظلماء..
ثم لا تَفْتَأ ذاكرتي تسترجعُ من أرشيف المقروء رسالةَ الشيخ "الزرقاوي" إلى الشـــيخ "أســـامة بن لادن" يُوَضِّـــح له فيها تكتيكَه في العـــراق، وأنه يسعى إلى إصعاد حرب الروافض الخفي إلى السطح ليصحوَ أهل الســـنة، فـــأقول في نفسي من جديد: ســـبحان الله! أيُّ مصـــلحةٍ من فتحِ جبهـــةٍ مكشوفةٍ اليومَ مع الروافض الذين انغمسوا في أمورٍ كفريةٍ حـتى شـحمةِ الأذنين؟!! كتحريف القرآن وتكفير الشيخين...إلخ؟
أفكارٌ كانت تتناوشـني من هنا وهنـاك كلما تنـاهى إلى سـمعي خـبرٌ يَمُتُّ إلى عمليةٍ ضدَّ الرافضـةِ تتبناها "جماعة التوحيد والجهـاد"، ثم أراني كلما استرسلتُ ما أَلْبَثُ أُشَوِّش على بَثِّ أفكاري فأقول جازماً:
لا بد أن في الأمر سراً خافياً، وبما أنني لستُ في السـاحة العملية فليس من الحكمة الجــزم بــالحُكْم، ولأن أمــيرَ جماعة التوحيد والجهــاد صــاحب تجربة قديمة من أيــام أفغانســتان فلا يُظَنُّ به أنه يَخْفَى عليه مثــلُ هــذا الأمر الواضح...إلخ...
فعندها تهدأ التصادماتُ الفكريةُ عندي ثم تَعودُ أفكارُ التشويشِ مرةً أخرى مع خروج بعض الكتابات لرموز التيـارِ الجهـاديِّ تُلَمِّحُ إلى قـريبِ التصـريحِ باستنكارِ صنيع الشيخ "الزرقاوي" من الناحية العملية، كسياسـةٍ شـرعيَّةٍ، ثم لا أَلْبَثُ أنْ أُشَوِّشَ على بَثِّ أفكارِ التشكيكِ مرةً أخرى،...وهكذا بينَ مدٍّ وجَزْرٍ فكريٍّ يَتْرُكُ سفينةَ القَرارِ بلا قَرار(3).

أَعتَرِفُ آسفاً أنني كنتُ كثيراً ما أضرب-من دون شعور أو انسياقاً رغماً عني مع تيار الإعلام الهادر- أضرب مبادئنا الإسلاميةَ التي دَرَج عليها علماؤنا الأوائل وقرَّرَتْها كتبُ أهلِ "مصطلح الحديث" من أهل الاختصاص فيما يتعلق بضوابط التوثق من الخبر...كنت أضربها عُرْضَ الحائط! ومن هذه المبادئ المعروفة:

***(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا). سورة الحجرات.**

***(كفى بالمرء كَذِبَاً أن يُحَدِّث بكل ما سَمِع)(4).**

ومع أن الحقيقة أكبر مظلوم على وجه الأرض، إلا أن الله يأبى إلا أن يَكْشِف شيئاً قبل يوم الحساب قبل أن يُبَعْثَرَ ما في القبور ويُحَصَّلَ ما في الصدور.

حتى تشابكت الأحداث وساقَتْني رياحُ الأقدار العجيبةُ لألتقيَ بالشيخ "الزرقاوي" على نحوِ ما بَيَّنْتُ في الحلْقةِ الأولى من سلسلة "خفايا التاريخ".

وراحت الحقائق الموءودة تُخْرَج من قبر المجهول واحدة واحدة؛ فمنها ما يَقْلَع الأفئدة، ومنها ما يكسر الضلوع، ومنها ما يثير التساؤلات، ومنها ما يحرك شفتيك ويرفع حاجبيك تعجباً رغماً عنك، ومنها ما يُخرج من صدرك نفثة مصدور، أو زفرة مكلوم،...وهلم جراً، حتى ازددتُ يقيناً بعدالة تلك الكلمة وإنصاف من يطبقها:

"من جاءك وقد فُقِئَتْ عينُه فلا تَحْكُمَنَّ له حتى ترى خصمه فلعله فُقِئَتْ عيناه".

فيا أنصارَ الحقيقة: إن كنتم صادقين في نصرتها، فتعالَوا هنا، وانقلوا ما ترونه بأم أعينكم أو ما تتوثقون من سماعه بأقلامكم ومُصَوِّراتكم، ولا تَشُمُّوا بأنوف الإعلام الغربي الخدّاع، ولا تنظروا بمناظير عملائهم في عالمنا الإسلامي.

ولئن لم تأتوا فالله حسيبكم، ولن أنتظركم، ولسوف أُخْرِج قدْر استطاعتي شيئاً من المدفون تحت ركام التاريخ، عسى أمتُنا أن تصحو، ووجهُ البدر أن يتلألأ بعد أن علته غيايات التعتيم والتكتيم أمداً طويلاً، وعسى أهلُ الحق أن يعرفوا أهمية تجلية الحقائق لأبناء الأمة.

لن يكون تركيزي كثيراً على القديم من المعتقدات والأحداث التاريخية المتعلقة بالرافضة؛ لأنها قد قُتلت بحثاً فيما أرى سواءٌ الكتب أو المقالات أو الاقراص الليزرية أو مواقع الإنترنت مما يشفي الغليل ويريح العليل، وما يهمنا هنا كمسلمين أن تظهر خفايا الواقع الحالي التي يَجهلها أغلبُ المختصين فضلاً عن العوام المُغَرَّر بهم؛ لذا سأركز بالدرجة الأولى على حالة الرافضة في أرض العراق، وكلِّ ما يتعلق بهم الآن من أقوال أو أفعال أو معتقدات، ويدخل في هذا تصريحاتُهم، ومجلاتُهم، وجرائمُهم، وتخطيطاتُهم، وما لفَّ لفَّها، وسيجد القارئ إجاباتٍ متناثرةً عن تساؤلاتٍ متكررة بين المؤيِّدين والمعارضين في الساحة الفكرية والإعلامية، من نحو:

1) أليس الشيعةُ مسلمينَ، فكيف نقاتلهم؟ أليسَ من يقاتلُهم نَهَجَ نهْجَ الخوارج، وانطبق عليهم الحديث: "يَقْتُلون أهل الإسلام، ويَدَعون أهلَ الأوثان"؟

أم أن إسلام الـروافض اليـومَ إسـلام ديكـوري، وادعـاء لسـاني اجتمع مع نـواقضَ عديـدةٍ للإسـلام، ما بين نـواقضَ اعتقاديـةٍ إلى نـواقضَ قولية أو فعلية؟

2) أليس كثيرٌ من الشـيعة يُعْلِنـون أنهم لا يقولـون بتحريف القـرآن، ولا يَقْذِفون عائشة، ولا يـرون كفر أبي بكر وعمـر، ويَـدْعون إلى الوَحـدة مع أهل السنة والتآخي معهم؟

أم أن هذه الدعاوي ذرٌّ للرمـاد في العيـون، وضَـحكٌ على كثـير من اللحى كما يقولون، وتغريرٌ بذوي النياتِ الطيبةِ، واستدرارٌ لتفكـيرهم العـاطفي انطلاقاً من مبدئهم الذي يظنونه حديثاً -وهو حـديث مكـذوب لا يصح-: "لا دينَ لمن لا تَقِيَّة له"؟ وهو مبدأ خبيث تُغَذِّي به مرجعياتُ الروافض أبناءها من صغرهم للضحك على أبناء السنة الـذين تسـميهم أبنـاء زنى؟ وإن مَن عـاش في مـدن إيـران يـرى بعينه لافتـاتِ سب الصـحابة، ويَسْـمع بأذنيه تسفيههم لأزواج الرسول كعائشة.

- ودعواهم للوحدة من هذه المشكاة، بل "عبد الحميد المهاجر" من خبثاء رؤوسهم يلعن هذه الوحدة بغضب شديد، -في تسـجيل صـوتي-، وأيُّ تـآخٍ وفي بغداد دخلوا بيوتاً وسـبوا الصـحابة جِهـاراً نهـاراً، ورَوَّعُـوا الأطفـالَ وانتهكـوا حُرمة النسـاء حـتى أدْرَكَت النـاس هنـاك أنها الـروافض بثـوب الجيش والشــرطة؟ وكم أُوْذِيَت أخـواتٌ في الجنــوب وحَمَلَت منهم، وهم يسمونهن "وهابيات"، ولولا الـروافض اللئـام في سـجن "أبو غـريب" لما تَمَكَّنَت أمريكا مما تمكنت منه.

3) كيف يُقاتَل الـــروافض وهم يصـــلون وبلادهم طافحة بالمظـــاهر الإسلامية في "إيران" كمساجدهم وأزياء آياتهم؟

أم أن المظـاهر هـذه قد خُـدِعَ بها كثـير من أبنـاء السـنة، ولو دققتم في عباداتهم لجزم العقلاء أن هذا لا يَمُتُّ إلى الـدين بصـلة، خذ مثلاً صـلاتَهم العجيبة في مواقيتها وكيفيتها، ولطمياتهم الصبيانية، وإيرانُ الخبيثة في طولها وعرضـها فيها كنـائس ومعابـدُ يهودية في أصـفهان وليس فيها مسـاجدُ لأهل السـنة، بل احتلت الرافضة عـدداً من مسـاجد السـنة في بغـداد، وراح بعض أبنـاء جلـدتنا بسـطحية عجيبة يـردد ليَغُضَّ أهـلُ السـنة الطَّرْفَ: "المساجد حجارة يمكن أن تبنى غيرها".

وفوق هـذا فـإن بلادهم طافحـةٌ أكـثرُ وأكـثر بحقـائقِ الشـركياتِ الكـبرى والصغرى.

4) أليست إيران من الدول التي تطبق الشريعة الإسلامية في دستورها؟

أم أنها شريعة آياتهم ومرجعياتهم التي حـرفت الـدين ثم سَـمَّتْه إسـلاماً، وأيُّ شريعة إسلامية هذه الـتي تـرى فيها نسـبة الـزنى من أعلى النِّسَـب في إيران، والتي ترى فيها حدود الله مبدلة أو معطلة أو محرفة، وآياتهم هي التي تأمر وتنهى.

5) أليس قوادهم من علماء الإسـلام الـذين تَشَـبَّعوا بـالعلم الشـرعي ثم انطلقوا إلى ساحاتِ الواقع؟

أم أن هــؤلاء من كبــار الضُّــلّال ممن انغمســوا حــتى شــحمَتَيْهم في المخالفات العَقَدِيَّة والفرعية، والعلمُ الشرعي لا يكون علماً مقبولاً حـتى يوافق الكتاب والسنة، وهم لا يأخذون أحـاديثهم إلا عمن يُسَـمّونهم أهـلَ

الـــبيت، فآيـــاتُهم الـــتي انطلقت إلى ســـاحة الواقع انطلقت لتطبق بروتوكولاتهم، لا لتطبق آيات القرآن وأحكام السنة الثابتة.

6) ألم يــدافع الشــيعة عن أبنــاء المســلمين المنكوبــوين في أرجــاء المعمورة؟ ألم يَتَبَنَّوْا كثيراً من القضايا العالميّة؟

أم أنّ الـروافضَ ودولتَهم ما كـانت يومـاً مناصِـرةً لأهل السـنةِ على مـدى التـاريخ، إلا عـوامَّ أهـلِ السـنة في محاولـةٍ خبيثـةٍ منها لتشـييعهم، وأما تَبَنِّيْهم لقضايا أهل السنة فهو تَبَنٍّ أجـوفُ كرتـوني، وقبائل الشـيعة الآن مثلاً تَطعن إخواننا المجاهـدين من الظهر في منطقة "وزيرسـتان" جنبـاً إلى جنب مع أفراد الجيش الباكستاني، وصرح بعض كتابهم أنه لولا إيران لما استطاعت أمريكة احتلال أفغانستان ولا العراق.

7) ألم تكن الرافضة من كبار أبطال المقاومة اللبنانية متمثلةً بحزب الله، يُهاجِمون اليهود ويسعون إلى تحرير فلسطين؟

أم أن "حـزب الله" حـزبٌ عميـل، ولعبـةٌ عالمية كـبرى لامتصـاص فـوراتِ الشعوب ثم إخمادها على مـدارِ عشـرين سـنةً مضـت، اسـتطاع خلالها أن يمارس دوره ببراعة إلى أن افتضح أمره بعد سقوط إمارة طالبـان، فبـدا جليـاً أن أمريكا يمكنها بسـهولة -لو شـاءت- إزالـةَ "حـزب الله" الضـعيف مقارنـةً مع إمـارة طالبـان، إلا أنها لم تفعل لأن دوره لم يَنْتَـهِ بعـدُ، ومن الطريـفِ حقـاً أنك تـرى مهرجـان "كـان" الفرنسي السـينمائي السـنوي يستغرق ساعة أو ساعتين ثم يأخذ الجائزة العالمية ويصفق له المُعجَبون، إلا أن "حسن نصر الله" وفيلمه انطلى عَقدين من الزمن على سذج أبنـاء أمتنا ولمّا يَنْتَـهِ بعـدُ، وهـذا إن دلَّ فيـدل على أشـياء مهمة منها: خبثه المتأصل وإتقانه لدوره بين أوراق اللعبة.

ثم قبل هذا أمِن المنطق أن يُصَفَّقَ لأي محرر لفلسطين ولو كان هو ذاتَه عميلاً خسيساً، كأن تـأتي روسـية وتحـرر فلسـطين من اليهـود ثم تجلس مكــانهم! فــالعبرة بعقيــدة الفــاتحين لا بــذات الفتح، وأي فتح جــاء به العبيديون المارقون الذين كانوا وصمة عار في تاريخ المسلمين؟

8) وفي مصـلحة مَنْ إثـارة النعَـرات الطائفية والعـداواتِ القديمـةَ الـتي دَفنَها التاريخ؟

أم أن العقربــةَ العميــاء دواؤها النعــال، والرافضــةُ أخبث من العقــرب، واستئصال المرض الخطير أسلمُ من أول الأمر خشيةَ استفحالِه، فبمجـرد تملُّكِ شيعة العراق زمـامَ الحكم سـيثأرون من أهل السـنة إذا ما اسـتبدوا بالأمر والنهي وهكذا دأبُ الجبان إذا خلا بفريسته؟

9) أليس من الحكمة أن يَتَّحد أبناء البلد الواحد لإخراج الكـافر المحتـلِّ ثم تُصَفّى الحسابات بالتفاهم والحوارات السلمية؟

أم أن هذه اللعبة باتت قديمةً سَئِمَها أبنـاءُ السـنة من كـثرة اللَّعِب عليهـا، ومَلُّوا هذا الوتر الخدّاع، فهم يعرفون حقَّ المعرفة أن اللعبةَ الديمقراطيةَ إبَـرُ "مـورفين" يُحْقَنُ بها أبنـاء السـنة ثم يسـتيقظون وقد طُـردوا خـارجَ الحَلَبَة،...هذا من الناحية العملية، ناهيك عن الناحية الشـرعية الـتي تَحْكم على الديمقراطية -بالمعنى الغربي- بأنها طاغوتٌ عصري مرذول.

10) أليس الشيعة متهالكين لإخراجِ المحتلّ وتحرير العراق، ولا أدلَّ على هذا من ثورة جيش الصدر؟

أم أن الشـيعة تـآمروا مع المحتل وسـهلوا له الـدخول وهم الآن عبـاده المـأمورون، والـدروع الـتي يتقي بهـا، والعصي الـتي يضـرب بهـا، وهم عيـونهم في كل مكـان ...عيـون للأمريكـان ... وقد دخلـوا إلى المراكز الحساسة، وجاؤوا بثوب الشرطة والحفاظ على المواطن، فأرادوا خديعـةَ الناس لأن النـاس البسـطاء تنخـدع بسـرعة وتميل إلى الجيش والشـرطة لأنها اعتــادت أن يكونا مصــدر أمــانهم وعِــزَّتِهم، بل نشر الرافضة في "الانترنت" أنهم يُفَضِّلون دخول أمريكا إلى العـراق! لمـاذا يا تُـرى؟ لأنهم يعرفون كيف يلعبون على الحبلين.

وما ثـورةُ الصـدرِ إلا ظِفْـرٌ مُحَـدَّب لم تتقـاطع مصـالحه مع مصـالح كبـار طواغيتهم فكان مآله القص والتشذيب، وطالما جعجع "الصدر" داعياً إلى الحلول السلمية، فأين إخراجه للمحتل أو حتى سـعيه؟ هـذا فضـلاً عن أن جيش "صدام" وإن كان جيشاً بعثيـاً بلا عقيـدة دينية إلا أن جيش المهـدي وأمثاله جيوش عقائدية طائفية تمهد للأعور الدجال.

11) أليس إشعال الحرب الطائفية من مقاصد أمريكة في العراق، فكيف يسعى "الزرقاوي" إليها وهي هدف أمريكي؟

أم أن أمريكا تخشى كثيراً من إشعال حربٍ طائفيةٍ لأن هذا يعـني أنها لن يكون لها قَدَمٌ في السـاحة وسـتُمْنى بالهزيمة النكـراء؛ لـذا تراها تسـعى جاهــدةً أن تُلْبِس الشــيعةَ لَبــوسَ الجيش والشــرطة ومكافحــةِ الشَّــغَب ليَظهروا إلى سذج السنة من العوام على أنهم أبنـاء البلد الـذين يريـدون نجاتــه، فهــذه هي خطتهم الخبيثة أن لا يُظْهِـروا أن القتـال بين السـنة والرافضة؛ لأنها سـتعني حربـاً خاسـرة للأمريكـان والرافضة إذا اسـتيقظ أبناء السنة النيام؛ لذا نشرت أمريكة الرسالة التي وقعت بيدها من الشيخ الزرقـاوي إلى الشـيخ "أسـامة بن لادن" وأدخلتها كل بيت عسـاها تنفر البسطاء من العوام من هذا الخطر الداهم.

12) أليس الجهر بقتـال الشـيعة مفسـدته أكـبر من مصـلحته، سـواء بين عـوام المسـلمين، أو على مسـتوى المثقفين، وضـرره على أهل السـنة أكبر؟

أم أن الشــيخ "الزرقــاوي" رغم عداوته الدينية للــروافض إلا أنه ما كـان ليَدخل حرباً مع الرافضة لولا جرائم الروافض المشاهَدة، من تقتيل سِرِّيٍّ أو مكشوف لكوادر السنة، إلى تهجيرٍ لكثير من العوائل السـنية من بغـداد والجنوب، إلى احتلالِ عددٍ من مساجد السنة في بغداد، حتى صارت بغـداد سوداء العمـائم، فلو لم يبـدؤوا هم لما بـدأ بهم الشـيخ "الزرقـاوي" فـإن كانوا هم البادئين فكيف نسكت؟ أم نصيبُ المسـلمين دائمـاً الرضا بالـذل والهــوان؟ ولو أن أهل الســنة عَلِمــوا كم من الشر دُفِع عنهم بعمليــات "جماعة التوحيد والجهاد" لَسَجَدوا سجود شـكر لله على ما أزيل عنهم من مخططات الإجرام الرافضي.

فلم يكن "الزرقــــاوي" أصــــلاً ليعلن عن أيٍّ من عملياته لا الــــتي ضد الأمريكان ولا التي ضد الرافضة فلما وَقَعَتْ رسالته إلى الشـيخ "أسـامة" بيد الأمريكان كان لا بد من توضيح سبب عملياته.

فعملية "الحكيم" كان بينها وبين الإعلان /8 أشهر/.

13) أليس قتل "الحكيم" فاتحةَ شر لحربٍ طائفية تسـعى لها أمريكـا؛ إذ يُسْتَبْعَد على مثل طاقة "الزرقاوي" أن تقوم بها؟

أم أن قتل الحكيم وَضَــع حــداً للشــيعة المجــرمين، وحَجَّم انتفاشـــهم، وعرَّفهم أن أبناء السـنة وراءهم من يَسْـنُد ظهـورَهم ويأخذ حقهم، ولكن المشـكلة أن المحللين والمسـلمين عمومـاً وصـلوا إلى درجة من الــذل والسذاجة حتى أنهم ما عادوا يتخيلـون مجـرد تخيل عملاً عظيمـاً قـام به ابماء المسلمين رغم ضعف عتادهم أمام عتاد الكافرين، فيظنون أن قتل الحكيم صنيعة يهودية، وأن هجمات مبنى التجارة فيها إصبع الموساد.

14) أليس مشايخ المسلمين وعلى رأسهم هيئة أهل السـنة في العـراق تنتقد إثارة الخلافات مع أشقائهم الشيعة؟

أم أن هيئةَ أهل السنة التي سُمِّيَتْ هكـذا لا تُمَثِّل أهل السـنة، وما هي إلا مجموعةٌ لَمْلَمَت بعضـها في فرصة البلبلة وادَّعَتْ أنها ممثلـةُ أهل السـنة، وهي -في حقيقة الأمر- لا تعرف كثيراً من حقائق الأحداث الـتي سـنراها في سلسلتنا هذه إن شاء الله، أو تَعـرِف وتحـاول بخ "البارفـان" لتلطيف الجو وإبقـــاء النيـــام نيامـــاً، وإلا فلْيُفَكِّر أي عاقل: هل يمكن أن تســـمح أمريكة لظهـور هيئة بهـذا الوضـوح في بلد تحكمه هي لو لم تكن مُرْضِـيَةً لهـــا؟! ومـــتى قبلت أمريكا بشـــخص يهـــددها بالفعـــال لا بـــالكلام؟ وأما جعجعات الكلام فلا تحرك ساكناً، ولا تخيف عدواً، فشـتان بين عِهْن الكلام وبين سكاكين الفعال!

15) أليس من الحكمة إن كان "الزرقاوي" مصمماً على قتالهم، أليس من الحكمة أن لا يُظْهر هذا على الملأ؟ وما هي الدوافع التي اضطرت الشـيخ الزرقاوي أن يجـاهر بعـداء الشـيعة أو أن يقـاتلهم قتـالاً مكشـوفاً فعلام التعطش للدماء؟

أم أن الإعلان بهــذا صــار حتمية تكتيكية وظهــرت فوائــده؛ حــتى أن أحد المجـــرمين في بغـــداد لما ســـمع أن جماعة التوحيد علمت بانتهاكه لأهل الســـنة فـــرَّ من منطقته خشـــية على حياتـــه، وهل يُعْقَل أن يخفى على الشيخ الزرقـاوي وكثـير من المجاهـدين ضـرر المجـاهرة بقتـال الشـيعة إعلامياً وهو يعلم جيداً مبدأ مراعاة "خير الخيرين وأخفّ الضـررين" أم أن أسـراراً تكتنف الحـوادث الغامضـة؟... وكما يقولـون: "عند جُهَيْنَـةَ الخبَـرُ اليقينُ"....!

فـ"الزرقاوي" صاحب تجربة رائدة، وهو أمــير السـاحة فهو أدرى بها وبما يصـلحها، وفـوق هـذا فـإن حوله من أبنـاء بلاد الرافـدين من يحوطونه بمشورتهم، فتتعانق خبرته مع مشورتهم وينطلق الأمر والنهي في أرجاء البلد.

فيا هـذا قبل أن تنتقد تفضل إلى هنا لـترى الحقـائق ثم أصـدر الفتـاوى والمقـالات وإلا كنت ثـاني ثلاثة فـــ (القضـاة ثلاثة: قاضـيان في النـار، وقاضٍ في الجنة؛ رجل قضى بغير الحق فعلم ذاك فذاك في النار، وقاضٍ لا يعلم فأهلك حقوق الناس فهو في النار، وقاضٍ قضى بالحق فذلك في الجنة)(5).

هذا فضلاً عن أن "جماعة التوحيد والجهاد" من أحـرص النـاس على تجنُّب إراقة قطرة دم مسلم بغير حق، كيف لا؟ وهي قـامت فيما قـامت لإنقـاذ دماء وأعراض وأبناء المسلمين الـذين أمرنا الله بحمـايتهم، ولإعلاء كلمته خفاقة في أرجاء المعمورة حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

16) ألم تُسْفِرْ عمليات جماعة "الزرقاوي" عن قتل أبريـاءَ لا علاقـةَ لهم بالحرب، أفلا يكفي هذا ليرتدعوا عن تفجيراتهم وعملياتهم عموماً؟
أم أن تـرك الأمـور للأمريكـان الصـليبيين وعملائهم سـتكون عاقبته أشد على المسلمين، خاصة وأنهم هم أنفسهم طالما قصفوا "أبرياء" على حدِّ تعبيرهم، وطالما انتهكوا أعراضاً، وشردوا أسراً، ويتَّمـوا أولاداً، وكل هـذا باسم محاربتهم للإرهاب، وهم أكبر إرهابي بالمعنى السلبي المذموم.
ولو فرضْنا أنهم إن اسـتبدوا بـالحكم فلن يريقـوا قطـرة دم مسـلم، ولن يغتصبوا امرأة، ولن يشردوا عائلة، ولن يأسروا شاباً واحداً متديناً، أفليس المكـوث تحت ذل الصليبيين، وظل عُبّـاد القـوانين، ممن طلقـوا شـريعة الله، وجعلوها من مخلّفات الزمان، أفليس هـذا كافيـاً لـيريق المسـلمون كلهم دمـاءهم ليُعلـوا دينهم وليَـدخلوا أعلى جنـان ربهم؟ أفليس تحكيم شـرع الله تـراق في سـبيله الـدماء، وتقطع الأعنـاق، وتنتـثر الجمـاجم والأشلاء لتكون سلماً يعلو به ديننا العظيم؟ وأيهما أهـون: نفـوسٌ تُزهَـقُ أم دينٌ يُسْحَقُ؟

-انتهت الحلقة الرابعة-

الحلقة الأخيرة[2]
الزرقاوي كما عرفتُه

-الجزء الأول-

ومن وعى التاريخ في صدره * أضاف أعماراً إلى عُمْـره**

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصـالحات، والصـلاة والسـلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه الكرام، ثم أما بعد:
فبعد سنواتٍ ثلاثٍ مَضَتْ فـارقْتُ فيها القلمَ وفـارقَني -رغم قربه مـني-، ونادَمْتُ الذكرياتِ وسامَرَتْنِي -رغم بعدها عني-، وفي مثل هذه الأيام من شـعبان قبل ثلاثِ سـنواتٍ كنت في بداية صـياغة مشـروع "من خفايا التـاريخ"، أسـأل فيها شـيخنا الراحـلَ ويجيبـني، وأقـترحُ فيفيـدني، ويسترسلُ فيُمْتِعُني.
كنت مسـتبعِداً أن يَلتَمَّ شـملي مع كثـيرٍ مما كتبتُه قـديماً قُبيل أحـداث الفلوجة الثانية؛ لكنَّ يداً حانيةً رأت جهازي "الحاسوب" الضائع مني كيتيم بين الأجهزة فاحتفظَتْ بما فيه من ملفات، فلما عـرَفْتُ بـالخبر سـارعْتُ لأخذ نسـخة منهـا، حـتى قَـدَّرَ الله لي الآن أن أُقَلِّبَ بطـونَ مجلـداتها وملفاتها لأعثر على كلِّ ما كتبتُه أو بدأتُ بكتابتِه قديماً مما تـرتَّبَ وتنـاثر بنصِّه وفصِّه، فوقع نظري على ملفٍ كنت عنونته هكذا: "الشيخ الزرقاوي كما عرفْتُه"، ورأيتُني قد كتبتُ في مطلعِه:
[ارتأيت أن تكون هـذه هي الحلْقـةَ الأخـيرةَ من سلسـلة "خفايا التـاريخ"، والتي لا يمكن أن أنشرها في حياة الشيخ؛ لأنه لن يرضى بها، وأما لمـاذا لن يرضى بها فلأنـني كما عرفتُه لا يحبُّ الثنـاءَ، والسلسـلةُ رغم أنـني أنا الذي أصوغها ولكنْ لا بد أن أطْلِعَهُ عليها بعد انتهاء الصياغةِ حـتى يصـوبَ خطأً أو يُعَدِّلَ شيئاً، فأما هذه الحلْقةُ فلا أظنه يوافق عليها البتة.

---

[2] - هذه الحلقة هي التي نشرها مركز الفجر للإعلام بأجزائها الثلاثة .

-هذه الحلقةُ شئت أن تكون تسجيلاً لمواقفَ أعْجَبَتْنِي من الشيخ لِمَا فيها من عبرة، المواقفُ من حياته الشخصية لا الجهادية[3]، عَـزَمْتُ أن أُسَـجِّلها من أوائلِ أيـامِ لقائي بـه، ولا أدري مـتى يَكْتُبُ لها الله الظهـورَ أو مـتى يَكتبُ لها الله التَّوَقُّف، هل بعـدَ لَحـاقي بالـدار الآخـرة أم بعد لحاقـه؟... والعلم عند الله]، اهـ.

- ودارَ الزمنُ دورتَه؛ حولاً، وحـولين، وثلاثـة، وسَـبَقَني الشـيخُ الأجـلُّ إلى العالَم الآخـرِ وتركَـني وراءَه أذرفُ دمعـةَ الوفـاء وأمسـحُ دمعة الـذكريات، وقلمي من الدمعتين يَرْتَشِف؟

- لقد أقَضَّنِي -كسائرِ المجاهدين- نبأُ مقتله فرثيتُه بقصيدةٍ كان مطلعها:

أَلَمٌ يُؤَرِّقُ مُقْلَتـي وكياني * فَيَدُرُّ دمعًا من ذُرا شرياني**

- ومن عجيبِ الموافقـات أنـني بُعَيْـدَ نبأ مقتله رأيته في رؤيا وقد تعانقْنا عِناقاً حميماً، ثم قال لي: "أنا لم أَمُتْ"، فما كان مني إلا أن عرضْتُ عليه أن نتـابع سلسـلة "من خفايا التـاريخ"، وأن نفتتحها بوصف شـعوره في لحظات القصف، وكانت قرائن حاله تشير إلى الموافقة.

- وها هي ملفاتي بين يدي، وعناوين الحلقات الـتي لم يُكتب لها الظهـور أمامي مع نُثارِ رؤوسِ الأقلام التي كنت أقْتَنِصُها أثناء جلَساتي مع الشيخ، هـذا فضـلاً عن مواقف بيـني وبينه أو جلسـات أو مسـامرات، ولكنْ أنَّى لذاكرتي أن تستحضر كلِ القصص، وكيف أنسقها في غمرة ضيق الـوقت الحالي؛ خاصة وأن كثيراً منها ما عُدْتُ أذكر تفصيل إجماله، وطـولُ العهد يُنْسي كثيراً.

- فحِـرْتُ أيَّ ثـوبٍ أُلْبِسُـه إياها لأخرجها لقرائنا الكـرام، ثم رأيت الحل الأمثل -في مثل ظَـرفي- أن أَسْـرُدَها سـرداً هكـذا بحسْـب ما تُسْـعِفُ به الــذاكرة مما كنت كتبتُه وقتَها أو استحضــرتُه الآنَ، ودون تقيُّدٍ بضـــابطٍ معين في عرضها، تاركاً لذاكرتي العِنان، ومُرْخياً لقلمي ذيل البيان، حتى تكون أشبه بخواطر أو ذكريات في فِقْرات غيرِ مترابطات إلا برِباطٍ واحـدٍ يتلخصُ بثلاث كلمات: "الزرقاوي كما عرفْتُه".

وإني بما سـأكتبه لأرجو أن ألامس أهـداب ذكريـات شـيخنا الغـالي "أبي حمزة المهاجر" عساه يَجـود علينا بقصـصٍ فريـدة جـرت بينهمـا، كيف لا؟ وهما رفيقا درب، ورجلا قضية.

1) أول لقـاءٍ بيننـا: كـان أول لقـاء بيـني وبينه مع مجموعة من الإخـوة، وحين وصل إلى المكان الموعود كنا جالسين ننتظره، فلما دخل -ومعه ابن الجراح رحمه الله- بِزِيِّه الأسود وبَسْطَةَ الجسم التي آتاه اللـهُ إياها مع البسـمة اللطيفة وهو يسـلم على الحاضـرين تـذكرت ما جـاء في الشمائل المحمدية: (مَنْ رَآهُ بَدِيهَـةً هَابَـهُ، وَمَنْ خَالَطَـهُ مَعْرِفَـةً أَحَبَّهُ)[4] فقلت في نفسـي: يقسم الله لمن يشـاء شـبهاً مع حبيبه خـيرِ بـني عدنان، عليه الصلاة والسلام.

وبـدأ كل أخ يلقي عليه سـؤالا أو استفسـاراً ويجيب الشـيخ -رحمه اللـه-، وكانت غالب أسئلة الشباب الجُدد عن العراق مستقبله وحاضره، فلما جاء دوري سـألتُه: مَن أكـثر ثلاث شخصـيات أثَّرت عليك في حياتـك؟ فسـكت الشيخ قليلاً حتى خشيتُ أن أكون أحرجْته في السؤال فاعتذرتُ منه لكنه أكَّدَ مُبْتَهِجاً أن السؤال لا حرج فيه إلا أنه يُفكر! ربما لأنها أول مرة يُطرح

3- رغم أن التفريق بينهما في مثل حياة المجاهدين اليوم يكاد يكون صعباً.

4- سنن الترمذي، وإسناده ليس متصلاً.

عليه مثل هذا السؤال أو لحيرة قد تعتري المـرء في اختيـاره لأول ثلاثـة، أو.... ثم قـال: فلان، وفلان، وأبو أنس. وكـان الشـيخ أبو أنس رحمه الله حاضراً، -وأبو أنس رحمه الله معروف بفُكاهته ومرحه-، فما أنْ سَمع هذه الكلمة حتى أكَبَّ بوجهه وعَلَتْهُ سكينة وهدوء وكأن على رأسه الطير ...ثم استرسل الشيخ رحمه الله قائلاً: أثَّرت فيَّ رجولتُه!!!

- لقد كان الشيخان رحمهما الله يحبان بعضـهما حبـاً متمـيزاً، حـتى أنـني كثـيرًا ما كنت أسـمع الشـيخ أبا أنس يـدعو: اللهم اغفر لأبي أحمد[5] وأم أنس؛ فأنْعِم به من وفاء.

- وقد حـدثني شـيخنا الراحل رحمه الله عن أوائل أيـام لقائه بـأبي أنس ودخوله في جماعة "التوحيد والجهاد" لَعَلِّي أذكرها فيما بعد.

2) تعرفت على الشيخ الحـبيب أبي أنس الشـامي وحصل انسـجام متمـيز ولله الحمـد، فطلب مـني أن أُعِيْنَه في تـدريس الإخـوة الـذين كـانوا يُعَدُّون للتـدريس والوعظ في أنحـاء المنـاطق، وأثنـاء هـذا ذَكَـرَني عند الشيخ الراحل فأزمع الشيخ على لقاء خاص كان هو الثاني بيننا، وكـان من تقدير الله أنني وقتَها اطلعت على تقصـير من أحد الأمـراء مع أحد الإخـوة وكتبتُ مُجْمَل التقصـير؛ فحين التقينا تجاذبنا أطـراف الحـديث حول العمل الشرعي وتطويره وأشياءَ أخرى وكاشـفْتُه بـأمر ذاك الأخ، وبينما كان يطلع على الملف انهمـرت دمعتـاه وقـال لي: والله ما كنت أدري بما فعـل، ولو دريت لفعلت بـالأمير ما توعد به الأخ! فلله دَرُّه ما أحرصه على العدل وأبعده عن الظلم!

ثم قال لي تلك الكلمة التي لا يزال صـداها الرقيق في أذني: "أبا فلان، لا فراق بيننا"، وبعد قليل صعِدْنا السيارة وكان يجلس في الخلف حـتى لا يراه أحد المارة وكان لا يفارق سلاحه، فسألني عن كنيتي -وكـان اسـمي غـير الحـالي- واستشـففْت أنه يريد شـيئًا فسألته: ما هي الأسـماء الـتي تحبها؟ فقال: "ميسـرة"، -وكنت كـذلك أحب هـذا الاسـم-، فأخبرته أنـني أحب هذا الاسم كذلك أكثر من الاسم الذي كنت متسـمياً بـه، ثم قلت لـه: "ميسـرة" أم "أبو ميسـرة"؟ فقـال: "ميسـرة الغـريب"، وقد كـان الشـيخ رحمه الله يحب كلمة "الغــــريب" وأخـــــبرني وقتَها أنه لا يحب كنية "أبي مصعب الزرقاوي" لكنه اشتهر بها، وكان قد سمى نفسه في أفغانســتان "أبو محمد الغريب".

وإلى الآن يلتبس اســـمي "ميســـرة الغـــريب" مع اسم الأخ العزيز "أبي ميسرة العراقي" رحمه الله.

3) وقبل وصولي إلى العراق حَصَلَتْ حادثة سمعتُ جـزءاً منها من الشــيخ وباقيها من غـــيره، وخلاصـــتها أن أحد الصـــحفيين الأجـــانب جــاء بين الفلوجة الأولى والثانية يريد لقاء صـحفياً وقـدَّر الله أن أبا أنس رحمه الله كـان موجـوداً -وكـان يجيد الإنكليزيـة- فـانبرى في الكلام ولم يُبْق ولم يَذر حتى ذكر وجود عرب مقاتلين، ولكن بعد فـوات الأوان...انتبـه، ثم انصرف وجلس على أحد الأرصـفة وإذ بـأمير الفلوجة آتٍ فتفاجأ به واضعاً يديه على وجهه كهيئة النَّدْمانِ، فنـاداه: ما بك يا أبا أنس؟ فرفع وجهه وحـرك رأسه قليلاً يمنة ويسـرة ثم أعـاد وجهه إلى يديـه، فلما عرف شيخنا رحمه الله بالأمر أرسله إلى بيتٍ لئلا يَخرج منه حـتى حين

5- إحدى كنى الشيخ الزرقاوي رحمه الله.

ووضع معه اثنين يؤمنـان طلباتـه...فلما طـال المقـام وأبو أنس رحمه الله لا يقـوى أن يسـمع صـوت الرصـاص والنـيران حـتى يـركض نحوها يستطلع الأمر لما طال المُقـام -والشـيخ هو الـذي يحـدثني الآن بهـذا- أرسل أبو أنس لشـــيخنا رســالة -وهو صـــاحب الكلمـــات الرائقة والتشبيهات الساحرة- وكان فيما قال له: "أنا خاتم في إصـبعك" فـرقَّ له الشيخ، وأذن له بالخروج، -رحمهما الله وجمع بينهما في الفــردوس بخير-

4) ومرةً كتبْتُ فيما كتبْتُ: يا خيل الله اركـبي ويا غـارة الله جُـدِّي السـير مسـرعة...إلخ؛ فـاعترَض رحمه الله على: "يا غـارة الله جـدي السـير" وذكر لي عن الشـيخ "أبي عبد الله المهـاجر" أنه اعـترض عليها لكنه لا يذكر وجه الاعتراض، وذكر لي أن "أبا الغاديـة" كـان حاضـراً؛ فأرسـلتُ لأبي الغادية أستَوْضِحُ وجه الحظر، وريثما يأتي الإيضاح كنت حذفتها من الكلمة سـمعاً وطاعـةً للشـيخ رحمه الله رغم أني أراها جـائزة بنـاء على أن الغـارة في اللغة تأتي بمعنى الخيل، وقولُنا: "يا خيل الله أو يا غارة اللـه" سـيان؛ فكلاهما على تقدير محذوف يُعرف عند الأصوليين بـ "لحن الخطاب" كقوله تعالى: "واسأل القرية" أي أهلها.

ودارت الأيام والتقيت بأبي الغادية فاستوضحت منه القضية، فذكر لي أن الشيخ رحمه الله كان إماماً في الصلاة وكان الشيخ المهــاجر وأبو الغادية مأمومين به، فدعا الشيخ في القنوت "يا غارة الله..."، فكـان هـذا سـببَ إنكار الشـيخ المهـاجر؛ لأن القنـوت لا يناسـبه مخاطبة غـير اللـه، فتَبَيَّنَت القضيةُ، ولله الحمد.

-الجزء الثاني-

5) في أول رمضان قبل ثلاث سنواتٍ كان الشيخ رحمه الله مُلْتَهِباً شـوقاً لإعلان نبأ انضـمامه إلى "القاعـدة" الكـبرى، إلى حبيبه وأمـيره شـيخ المجاهدين "أسامة بن لادن"، ولم أرَه حريصاً على شـيء كحرصه ذاك، ولا أزال أذكر حين دخل بثوبه الأبيض الجميل يســـألني عن صـــياغة البيـان الـذي أملى عليّ هو من قبـلُ خطوطَه العريضـة، وما أن جَهَّزْتُه حتى جلسنا في مجلس شورى كان منهم "أبو عزام" رحمه اللـه، و"أبو سـفيان" أمـير بغـداد وقتَهـا، ثم توجَّهَ سـاعي البريد لرفع نبأ الإعلان، وكَبَّر إخوة السلاح في الفلوجة ابتهاجاً؛ لقد كان خـبراً مفاجئـاً للغايـة، رغم أن إرهاصاته كانت من قبل.

- قلت في نفسـي: مثلك فلْتكن الرجـال، وتـذكَّرْتُ حين سـئل أحد تلاميذ مالك عن سبب بقاء موطأ مالك واشتهاره دون غيره من الموطآت فقال: "ما كان لله بقي"، نحسبه والله حسيبه.

- ولو لم تكن لشيخنا مَحْمَدة تُذْكَر إلا هذه لَكَفَتْهُ فخـراً، وهو الـذي تـألَّقَتْ وقتَها جماعتُه، وعلا اسمه، وراج شأنُه فصبَّ كـلَّ هـذا في نهر إعلاء كلمة الله بالوَحدة والجماعة؛ لتقوى الشوكة وتعلو الراية أكـثر وأكـثر؛ اعترافـاً منه لأهل الفضل بالفضل، ولا يعرف الفضل لأهله إلا أهل الفضل.

6) كـان شـيخنا الزرقـاوي رحمه الله يُحب شـيخه "أبا عبد المهـاجر" -فك الله أسره- ويُجِلّه ويثني عليه ويَوَدُّ لو يأتي إلى العراق، وكـانت قـرائنُ

الحـال تَـدُلُّ أنه لو أتى لأوكل إليه مسـؤولية الهيئة الشـرعية، وكـان شيخُنا يحثني على تدريس الطلبة كتاب الشـيخ المهـاجر "أعلام السـنة المنشورة في معالم الطائفة المنصورة" وكنا صورناه، وبدأتُ تدريسَـه للإخوة، هذا فضلاً عن كتاب "فقه الـدماء" الـذي كنا ننتظر وصـوله إلى الفلوجة وقتَها ولم يصل إلى أن بـدأتْ معركة الفلوجة الثانيـة، وكـان الشـيخ ذكر لي أنه دَرَسَـه عند الشـيخ "المهـاجر" أربـعَ سـنوات إن لم تخني ذاكـرتي...ثم دارت الأيـام ودخل الكتـاب إلى العـراق بعد أحـداث الفلوجة الثانية وطُبِعَت منه نسخٌ كثيرة جداً، تحت اسم "مسائل من فقه الجهــاد"، وهو كتابٌ جيد قوي، جدير أن يلخَّص منه ويُدَرَّس للإخوة المجاهدين.

7) كان رحمه الله يتعامل مع سائقه ومن حوله تعامُلَ الأخ لأخيـه، وكثـيراً ما كان يُفَتِّتُ اللحم لإخوانه الجالسين على المائدة يعتـني بهم، ويَرْفُق بحالهم فيَشُدُّ هذا من عزيمتِهم ويُشْعِرُهم بدِفْء الأخـوة في مثل هـذه الأجواء الحساسة، وبنحو هذا الفاكهةُ -إن وُجِدت- قد يقطعها قســمين بينك وبينه.

- ومعروف أن الشيخ رحمه الله كان يحب الجبن المعـروف بــ "الكـرافت" إلا أنني سمعت من أحد مرافقيه أنه ذات مرة أحضروه له فنهــاهم عن إحضاره ثانية حتى يأكله كل الجنود.

- وكنتُ قبيل الفلوجة الثانية رأيت أحد الأمــراء قد حــار في أمــره كيف يــوزع كمية بســيطة من "الــزيت والزعــتر" على الجنــود في "حي الشهداء"، فاستفسـرته عن قصة هـذا "الـزيت والزعـتر" فـبين لي أن الشـــيخ رفض أن يأكل منه حـــتى يأكل منه الجنـــود، ولهـــذا "الــزيت والزعتر" قصة وهي أن الشيخ "أبا أنس" رحمه الله كان مُغْرَماً به حتى أنه أوصى بإحضار شيء منه من بلده "الأردن" فوصل "الزيت والزعتر" بعد مقتله رحمه اللــه، و"الــزيت والزعــتر" له مكانة خاصة عند إخواننا الشاميين من بين الأطعمة.

8) وكان إذا أرسل رسالة يقـول عن نفسه مخاطبا لي في آخرها: أخـوك الصغير يعني نفسه...مع أنه أكـبر مـني سـناً وقـدراً، ولم يكن تواضـعه من النوع الديكوري، ولكنه من قلب صـادق فيما يبـدو، ولم يكن يتشبَّع بما لم يُعْـــطَ؛ ففي أول جلسة ثنائية للنظر في صـــياغة أول بيـــان شاركتُ فيه كان إذا أراد تغيير كلمة أو جملة أو إضافةً أو إنقاصـاً تـراه يخاطبني بأدبٍ جَمٍّ ومن باب المشاورة.

9) وبينما كنا نقرأ معاً أحد البيانـات لضبطه وتصحيحِه خـرجَتْ معنا كلمة "منعـرج" وقد ضَـبطْتُ راءها بـالفتح، [دعيـني أحَـدِّثْكِ بأمرِنا ونحنُ في مُنْعَرَجِ اللَّوَى]، فقال: "هذه أكيد خطأ وهي بالكسر" ثم أعقبها مباشرة بقوله مخاطباً لي: "أصابت امرأة وأخطأ عمر" فقلت له: أراجعها.

وكـان رحمه الله قد اعتمد في ضـبطه هـذا على تأكيدِ أحد طلبة العلم له أنها بالكسر -وقد سماه لي-، ثم راجعتها في "مختار الصحاح" فـذكر أنها بفتح الراء، فالحمد لله على التوفيق.

فتأمل أخي القارئ هذا التواضع الفريـد، والمداعبة اللطيفة لإخوانـه، أين منها أولئك الـذين يظنـون شـيخنا جهومـاً عبوسـاً عاشـقاً للـدماء كيفما كانت؟

10) ولا أزال أذكر حين استفتى أحدُ أمراء المفـارز في واقعـةٍ تعترضـهم وهي أنه قد يــأتي رجل مســتحق للقتل شــرعاً بســيارة وهو محمَّل بالبضـائع ولكن معه طفل صـغير -كأنه ولـده- فـإن لم يقتلـوا الطفل فربما يُخْبِرُ عنهم العدوَّ المحتـلَّ ويـدلُّ على المكـان، وإن قتلـوه مع أبيه نَجَحَت المهمـة، ونقلْتُ الأمرَ لشـيخنا فسـارع بمنع هـذا العمل متنـازلا عن هـذه الغنيمة كلها لئلا يُقْتَل الطفل.

11) حدثني سـائقه ورفيقه "عبد الـرحمن البصـراوي" أن الشـيخ في أحد أيام رمضان منذ ثلاث سـنوات كـان يتجـول في السـيارة لتفقد أحـوال رعيته فلمح رجلين لا يعرفهما على قارعة الطريق وقد اقـــترب موعد الغروب فنزل وأفطر معهما، ولم يجد في هذا حرجاً، وهما لا يعرفانه.

12) وعلى إحدى سيطرات الإخوة مرت سيارة الشـيخ فأوقفه المسـؤول عن السيطرة وهو لا يعرف الشيخ، وأنزله من السـيارة وسـأله أسـئلة، والشيخ مطواع له في كل هذا، وبعد أن مشى الشيخ عـرف المسـؤولُ عن السيطرة أن الذي كان يسأله هو الشيخ رحمه الله فخجل. -حـدثني بها سائقه البصراوي كذلك-

13) كنت في جلسة معه والشـباب يطلبـون منه شـريطاً كـلَّ مـدة ليشد العزيمة وينعش الروح وهو يعتـذر ويـدلهم على أشرطةٍ لغـيره ثم قـال بالحرف: "ما كنت يوماً أتوقع أن يحتاج الإخوة أشرطةً مني"! كان يرى نفسه دون أن يعظ هو غيره بأشرطة...أسأل الله أن يأجره.

14) وما كنت لأنسى يـوم أن تَبَيَّن له من كلامي معه أنه سـرد في كـتيب (واعتصـموا) حـديثاً بلفظ لم أره في الروايـات -قبيل معركة الفلوجة الثانيـة- فسـارع وقـال: نبه الشـباب واشـطب عليها... لا أنسى عينيـه اللتين اقترب جفناهما من بعضـهما وحـرك رأسه وتكلم بصـوت خـافت متوشِّـح بـالخوف من التقـول على رسـول اللـه: [هـذا دين يا أخي، صححه]، وكان من رغبات الشيخ أن أعيد تنقيح الكتاب وتخريج أحاديثه، وقد تيسر لي جـزء جيد من هـذه الرغبة منذ شـهرين ولله الحمـد، وتم توزيعه على الولايات ليـدخل ضـمن المقـرر الدراسـي، ومن فضل الله أنه تيسـرت لي فيما بعد مراجـعُ أوسع وتثبُّتٌ من رواية الحـديث الـتي أَثْبَتَها شيخنا فرأيتُها واردة في كتب الحديث، فالحمد لله أولاً وآخراً.

15) وفي أوائل مرافقتي للشـيخ رحمه الله دخل شـابٌّ أردني يـدعى "أبا عبد اللــه" من جديد إلى العــراق، وكــان شــديد الحــرص على مرافقة الشــيخ كحـارس شخصـي، وعـرفتُ أنه كـان يعـرف الشـيخ من أيـام أفغانســتان، لكنَّ حرصه المتمــيز لَفَتَ نظــري فســألته عن سر هــذا الحرص، وعجيب هذه المحبة للشيخ رحمه الله، فـذكر لي السر المـؤثر وكـان مما ذكـره: أنه قبل أن يـدخل في جماعة الشـيخ أراد أن يختـبر نفسية الشيخ فقـال له وهم قريبـون من الخلاء: "بالله بريقك[6]"، املأ الإبريق رايح ورايح"، فقلت لـه: ومـاذا فعل الشـيخ؟ -وهو أمـير جماعة هناك في أفغانستان ويخاطبه أحدهم بهذه الطريقة المستفزة- فقـال الشــاب: ما كــان من الشـــيخ إلا أن أخـــذه وملأه بكل تواضع دون أي

6- أي إبريق الماء، فالأخ كان يخاطبه بالعامية.

تعقيب، وعنــدها قــال الأخ في نفســه: هــذا يســتأهل أن أنضم إلى جماعته.

فسبحان الله ما ألطفه وأعظم تواضعِه وهضمِه لنفسه أمام إخوانه.

وأما ذاك الأخ فقد لقي ربه في غـزوة أبي غـريب الـتي قُتل فيها الشـيخ أبو أنس الشـامي، وكـان قبيل خروجه إلى المعركة أوصـاني إن حصل له شيء أن أكتب وصية لأهله وزوجته وأرسلها؛ لكني غفر الله لي انشـغلت كثيراً حتى

أتت أحداث الفلوجة الثانية وضاع جهازي مني، هذا فضـلاً عن أني لا أملك عنوان أهله، لقد طار فرحاً حين علم أن زوجته تحمل مولوداً، وكان رحمه الله حديث عهد بزواج.

16) ومـرةً كنت أتصـفح "فلاشـاً" فوقع نظـره على مقـالات للشـيخ علي الطنطاوي[7] الكـاتب المعـروف، فطلب مـني أن أنزلها له على جهـازه وأن لا أضِنَّ عليه بأي شيء ينفع، فقلت في نفسي: سـبحان الله رغم اختلافه مع الطنطـاوي في المنهج إلا أن هـذا لم يمنعه من الاسـتفادة مما بــرع فيه الطنطــاوي من أســلوب في الكتابــة، وكم يشــبه هــذا استفادة علمائنا القدامى من الزمخشري رغم اعتزالـه، والحكمة ضالة المؤمن...وهذا هو الإنصاف.

-الجزء الثالث-

17) تهيأَتِ الجموع صَـوْبَ "أبي غـريب" بقيـادة القائد الشـجاع "أبي أنس الشـامي" ومعه من خـيرة القـواد الميـدانيين لفكِ أسـرى المسـلمين الذين أسرهم الصليب وأعوانه ولم يقدم لهم العالَم الإسلامي والعـالِم الإسلامي أكـثر من اللسـان، وكـان الشـيخ الزرقـاوي رحمه الله يتفقد الإخـــوة عصر الخميس بســـيارته فجاءنا "أبو أنس" ليودعنا ومد رأسه ليودع حبيبه الشيخ أبا مصعب، لقد كانت صفحة وجهه كـالقمر المتلألئ حـتى أنها لفتت نظـري وقد انحـدرت دمـوع الـوداع منه فسألت "عبد الرحمن البصراوي" -السائق-: أكان أبو أنس يودع هكذا في كل مرة؟

لقد تسلل إلى نفسي شعور قوي أنه اللقـاء الأخـير بيننـا، حقـاً لقد جمع "أبو أنس" بين النقيضين عادة: الرقة والشجاعة، وهكذا كـان الجيل الـذي أعده نبينا عليه الصلاة والسلام: فرسان في النهار رهبان في الليل.

- وانطلقت الجموع وغادرنا مع الشـيخ الراحل نتعشى في إحـدى بيوتـات الأنصـار الـذين أحبـوه وأحبهم؛ وتجاذبنا أطـراف الحـديث وتطرقنا إلى القرضاوي ما له وما عليه، وإلى علاقة الشيخ السابقة بشـيخ المجاهـدين أسـامة بن لادن وسـبب عـدم انضـمامه في أفغانسـتان إليـه، وأحـداث "سـبتمبر"...كـانت جلسة غزيـرة، وإذ بـأمير الفلوجة يـدخل علينا ليخـبر الشـيخ بـالخبر المفجـع! كمين من الأمريكـان، وتَـزامَنَ هـذا مع إعلان الفضائيات -الجزيرة وغيرها- نبـأ: مقتل /60/ عنصـراً من جماعة "التوحيد والجهـاد"، فـانقطعت شـهيتنا للطعـام، ولم يكن ثمة متسع من الـوقت لاستجلاء الخبر فلا بد أن ننتظر على جمر الصبر إلى الصباح.

- جاء الصباح الثقيل وتضاربت الأنباء عن القتلى من ومن؟ كلنا يسـتجلي الحادثة ويستبين الخبر، ويستلهم من مـولاه الصـبر..قُتل أبو عمـار، وأبو محمد اللبنـاني...وتضـاربت الأنبـاء عن "أبي أنس"، وتـوجَّهْتُ إلى "حي

7- هذا الطنطاوي توفي، وهو غير المفتي المصري المنحرف الحالي.

الشهداء" وإذ بأبي ميسرة العراقي هناك في زيـارة فما أن سَـمِعَ نبأ أبي أنس حـتى انفجر بكـاء لدرجة أنه دَهشـني! فما كنت لأتوقع منه كل هـذا البكاء، ورحت أزيل غشـاوات الشـائعات بما استطعت من قـوة بيـان إلى حين تَبَيُّن الخبر، وجاء المساء، ودخل جنح الليل فَوَصَـلَنا قـرص فيه صـور القتلى، فسـارعت مع الشـيخ إلى الحاسـوب وبـدأنا ننظر الصـور واحـدة واحـدة، وقلوبنا تَـدُقُّ تنتظر المفاجـآت، حـتى خـرج الوجه النَّيِّر والأصـبع الموحدة والتراب المهال عليه رحمه الله فعرفنا أنه حق.

لقد تجَلَّد شيخنا الراحل لهذا النبأ تجلداً كبيراً وكـأني بدمعته قد احتبسـها في محــــاجره ينتظر اختلاء منه بنفسه ليســـكب كل ما جمَّعه فيهمــــا، وسـرعان ما وجهـني إلى المضـافات والمفـارز وسـائر الأحيـاء، وقـال: "صارت مهمتك الآن صعبة"،

يعـني في المجـال الشـرعي بعد فَقْـدِ أبي أنس، وطلب مـني أن أجـوب المفارز وأرفع الهمة، وأخفف الأحزان ببلسم الآلام.

فانطلقت مستعيناً بالله، رغم صعوبة سد فـراغٍ كـان يَسُـدُّه جبـلٌ كـأبي أنس، بلسـانه السـيال، ودعابته المرحـة، وعلميته الطيبـة، وأحمـدُ الله أن تَيَسَّر ما لم يكن بالحسبان.

وبسبب الحادث المفجع أصـدر شـيخنا رحمه الله أمـراً بمنع كل الجـوالات وانضبط الإخوة فكانت ضربةً موفقةً للعدو إذ استفاد كثـيرًا من الجـوالات فيما سـلف؛ فعَجَبـاً الآن لإخـوة -وخاصة المهـاجرين- كيف يسـتعملون الجـــوال والمعصـــية تكتنف المتصل لحظة بلحظة حـــتى يغلق السـماعة ويتوب ويعزم ألا يعود.

لقد سَـهَّل العـدو سـبل الاتصـال لغاية يريـدها، وما من أخ أُسِـرَ إلا وحـذر إخوانه في الخارج من خطر الجوال وضرره على العمل الجهادي.

وحسبنا عدد القتلى فإذا به حوالي الثلاثين، فما أكذب الإعلام، وما أكـذب الجيش الأمريكي المفلس اللعين! وشـتان ما بين الفـريقين: المجاهـدين والصليبيين؛ فالشيخ أبو مصعب أبى وبشدة ذات مرة نشر خـبر فيه زيـادة في عدد خسائر العدو عن الحقيقة، وقال بما معناه: "المسلمون ينظرون إلينا وينتظرون منا فلا يجوز أن نخونهم ونُلَبِّس عليهم كما يفعل عدونا".

18) وبعد تَبَيُّنِ خـبر "أبي أنس" وجَّه شـيخنا الإعلامـيين ليُجَهِّزُوا إصـداراً يتحدث عن "أبي أنس" وبدأ العمل، وكان مما اسـتقرَّت عليه المشـورة أن يتكلم كل واحد يعرفه من الأمـراء بكلمة عنـه، لكنَّ الشـيخ لم تنفتح نفسه لأن يتكلم ولا بشِقِّ كلمة، وكان من رأيِ "أبي ميسـرة العـراقي" رحمه الله أن لا يتكلم الشـيخُ بشـيء وأن يُكْتَفى بكلام من يعرفه من سائر الأمراء.

وفكرتُ فرأيتُ خيرَ ما أتكلم فيه عنه أبيات من الشعر تعـبر عن مشـاعري وأحاسيسي؛ فاخترت أبياتاً من نسج أحد الشعراء المعاصرين، مطلعها:

"عينُ جُوْدِي بدمعك الرقراق * واسكُبيه على أعَزِّ الرفاق"**

ثم تم إنهـاء الإصـدار، فطلبتُ من شـيخنا أن يشـاهده ليـدلي بملحوظاته قبل نشــــره على الملأ، فجلس ووضـــــعت الجهـــــاز أمامه وراح يعطي الملحوظـــات من أول "الفلم"، وكـــانت ســيما وجهه أقــرب إلى الحــزن والــذبول، فلما وصل إلى فِقْـرَة "عين جــودي...إلخ" تَغَيَّرَت ملامحُ وجهه وبــدت علائم الســرور والإعجــاب عليــه؛ فــاهْتَبَلْتُ الفرصــةَ وقلت لــه:

أأعجبتـــك؟ فقـــال: نعم، والإلقـــاء جيـــد، فقلت: لمَ لا تأخـــذها أنت وتلقيها...واسترسلْتُ أُذَكِّرُه بـأن رفيـقَ دربِه من حقه عليه أن يتكلم عنه ولو بشيء يسـير...-وكـان الشـيخ لا يريد التكلم لأنه يـرى أن أي كلام لن يوفي حق صاحبه أبي أنس- فقال الشيخ بما معنـاه: لا ..لا ...الأبيـات أنت قلتَها لن آخذها...فورطْتُ نفسي وقلت له: لا عليك أنا أنسج أبياتًا جديـدة فهذه ليست من نسجي. فقال: إذن آخذها شريطة أن تقـول أنت غيرهـا، فوافقْتُ والسعادةُ ملأت أحشائي لأن شيخنا سيتكلم بشيء.

فجهزْتُ له أبيـات: "عين جـودي..." واسـتأنفت مع الشـيخ قـائلاً: لمـاذا لا نكتب ولو كلمات قليلات قبيل الأبيات، وما عليك إلا أن تصف لي شـعورك حين وصلك خبر أبي أنس وأنا أترجمه إلى لغة البيان، فكـان إلقـاؤه حقـاً متميزاً عن سائر إلقاءاته البطولية، لقد كانت أحاسيسه ومشـاعره تخالط نبرتَه وهو يرثي رفيق دربه.

- **وبعد هذا نسجْتُ أبياتاً عن أبي أنس رحمه الله كان مطلعها:**

وردٌ تألق في بستان أحزاني* جُرْحٌ تَفَتَّق من أعماق وجداني**

19) وبُعَيْـدَ مقتل أبي أنس رحمه الله بـدأ احتكـاكي الكـثيف بكل الإخـوة على اختلاف شـرائحهم، وتنـوع أطيـافهم وأعمـارهم؛ فـالتقيتُ بـأخٍ شاميٍّ دخل العراق جديداً وراح يسـاررني بـأمر حـدث معه خلاصـته أنه التقى قبل الدخول بأخ من الجزيرة العربية في مضافةٍ من المضـافات وأثناء الطعام استفسر المُضيف -المنسق- الإخـوةَ عن معتقـدهم بـابن بـاز وابن عـثيمين فتـبين له أن الأخ الـذي من الجزيـرة لا يكفرهمـا؛ فاستغرب المضيف من ذلك وعنف الأخ ونقل له عن الشيخ أبي مصعب أنه يكفرهما وأن من لا يكفرهما لا يـدخل أرض الجهـاد، فـراح الأخ من الجزيرة بتعجب يقول: "يعني تمنعني من الدخول"؟ قـال: نعم! وحقـاً فعل ما توعَّده به فأرجعه من حيث أتى، لكنَّ الأخ الـذي يحـدثني خـاف فلم يُفْصِح عن رأيه في القضية خشيةَ أن يُمْنَـعَ هو كـذلك من الـدخول إلى بلد الجهاد والرباط وبوابة القدس بإذن الله تعالى.

وما لبثتُ أن رفعْتُ القضيةَ إلى شيخِنا رحمه الله -خاصة وأنه أوصـاني أن أنقل له ما يحـدث في السـاحة خشـية أن لا يتيسر لرعيته أن يوصـلوا له بحكم اختفائه الأمني عنهم- فغضب غضـباً شـديداً وتوَعَّد الـذي نقل على لسـانه خلاف رأيــه، وأمر نائبه أن يتحـرى من الموضــوع فـإن ثبت على المضـيف ذلك فسـيُطرَد من الجماعـة، ثم قـال لي الشـيخ: صـحيح أنـني أراهما قد أضلا الأمة بفتاويهما لكنني لا أكفرهمـا، ووالله لو أن الأخ الـذي من الجزيرة لا يُكَفِّر "فهد" لما حَرَمْته من الجهـاد، وقد دخل العـراق كثـير ممن لا يكفر الحكومة الســــــــــعودية ثم حين بُيّنَت له الأدلة اقتنع بها لوضوحها.

20) ورغم أن الشـــيخ كـــان ينـــأى بنفسه أن ينكشف بصـــورته على كل الإخوة خشيةَ أن يتسرب خبرٌ فتأتي الطائرات وتَدُكَّ المنـاطق ويتضـرر المجاهدون وسـائر النـاس رغم هـذا إلا أنه كـان مهتمـاً بـأحوال رعيته اهتمامـاً فريـداً، وكثـيراً ما كـان يبقى يـدور إلى منتصف الليل يتـابع بنفسه الثغور والسيطرات وتحركات الرعية وحـال النـاس، حـتى أنـني كنت أستسلم لأسر النوم كثيراً وأنا معه في السيارة، وربما كان يتكلم

فأدخل في غيبوبة النـــوم ثم أصـــحو وأخجل من نفســـي...ولكن ما الحيلة؟ فقد رُفع القلم عن ثلاثة.

وفـوق هـذا كـان له وِردٌ من الليل لا بد أن يُنْجِـزَه، إلا أنه لطـولِ سـهره يضـــطر أن يأخذ قســطاً من الراحة بعد صــلاة الفجر ليســتأنف الحركة صباحاً.

21) لقد كانت رعيته تحبه، والناس العوام معجبـون بـه، فـإذا ما جالسـوه أسـرهم بهدوئه ورزانة كلامه ورجولة أفعالـه، حـتى أن أمريكا بغبائها جربت أن تغريَ أحد رعيته لتـدبير حـادث اغتيـال له بتقنيـات عالية فهز برأسه ليطلقوه

فما أن أطلقوه حتى أخبر الشيخ بالأمر ...فسبحان الله ما أسخف تفكـير جـنرالات أمريكـة! تظننا نقاتل لمـال أو جـاه، وما دَرَتْ أن دمـاء العقيـدة تنبض بها شرايين جهادنا، وما دَرَتْ أنها لو تَمَكَّنَت من "الزرقاوي" فعنـدنا كذا وكذا زرقاوياً ولله الحمد فأمتنا أمة الجهاد وذروة سنام دينها الجهاد.

ودارت الأيـام وقُتل الزرقـاوي فظهر نَجْمُ خليفتِه الـذي أثبتَ جـدارةً قَـلَّ نظيرُها، وأكادُ أجزم أن "كوندليزا رايس" الشمطاء ما صرحت بما صـرحت به مؤخراً من ثناءٍ عجيب على مَقْـدِرَات الزرقـاوي إلا لتُـوْهِنَ من سـطوع خليفتِه وتألقِه حـتى أنه أنهكهم إنهاكـاً، فما رأوا حيلة إلا أن يجربـوا هـذا الطُّعم: أن يرفعوا قـدر الراحل عسـاه يُفَتِّتُ من عزيمة الجند بـأن خليفته ليس كالراحـل، مع أن خـبرة خليفته واضـطلاعه بـأمور الحـرب وفنـون القتال ومعاشرته لرجالات الجهاد في العالم الإسلامي لهي بمكــان! ولله الحمد.

بل إنني لا أنسى البتة كلمة أحد الوزراء يقول لي: [إن الخسـارة حقـاً أن يُقتل شيخنا "أبو حمزة"!]

- **يعني أنه بغياب شيخِنا الزرقاوي وُجِـدَ من يَسُـدُّ المَسَـدَّ ويتـابع المسـيرَ ويأتي بفرائد التصرفات، وبديع الأفكار والطروحات؛ فإن لم يكن له إلا خطوتُه بالانضـــمام مع عـــدد من الجماعــــات لتشــكيل دولة العـــراق الإسلامية وبيعته الشـيخ الفاضل "أبا عمر البغـدادي" أمـيراً لها لكفت، وإني لأقول: لئن قتل "أبو حمزة" فإن أمتنا سـتلد "أبا حمـزة" جديـداً، ولن يقف الجهـــاد، ووالله إن توفيق الله لهـــذه الدولة بـــادٍ للعيـــان لا يختلف في هـــذا اثنـــان لِمَا نـــرى من طاقة العـــدو الهائلة وتِقْنِيَّتِهم الفائقة مقابل إمكانيــات الدولة الإســلامية الفتيـــة، ومع هــذا فـــإن انتصـاراتها مكللة بأكاليل الغـار، ونجاحاتها في سياسة النـاس عجيبـةُ النتائج، ولِمَ لا؟ وقد أنعم الله على الدولة الإسلامية بأميرها، وعدد من خـيرة الـوزراء هم أعمـدة الدولة فضـلاً عن شـيخنا أبي حمـزة بعد أن كانت حياة التنظيمات تدور غالباً على محور واحد...أسأل الله أن يَقِيَها الزلل وأن يوفقها لاستدراك الخلـل؛ إذ لا تَسْـلَم من هـذا دولة على مر الزمان.**

نتابع في الجزء الرابع[8] إن شاء الله تعالى، والسلام عليكم.
ظهر السبت/2/ شوال/1428هـ
الموافق 13/11/2007م

---

8 - هنا انتهت الحلقات - فيما أعلم- ولحق شهيدنا بأميره عند رب العالمين - بإذن الله - .